التعددية المفقودة في الانتفاضة السورية:

كيف انحرفت المعارضة عن جذورها الجامعة؟

د. جوزيف ضاهر - ناشط سياسي، وأكاديمي، وصاحب مدونة SyriaFreedomForever (سوريا حرية للأبد)

ملخص

على الرغم من أن إخفاقات الانتفاضة السورية يمكن عزوها إلى حد كبير إلى عنف وقمع النظام والتدخل الأجنبي، إلا أن المعارضة تتحمل أيضًا مسؤولية العديد من الأخطاء الطوعية. فعلى الرغم من خطابها الذي يؤكد على الوحدة والإدماج، لم تتمكن المعارضة السائدة في سوريا أبداً من تقديم تعريف مقنع للمواطنة السورية يمكن له أن يهدئ من مخاوف الأقليات والعلمانيين وقطاعات أخرى من المجتمع. كما أنها لم تتمكن من صياغة رؤية اقتصادية مقنعة. يستكشف هذا الفصل تاريخ وممارسات كيانات المعارضة السورية الرئيسية التي يدعمها الغرب والدول الإقليمية في محاولاتها لصياغة ماهية للمواطنة. والأهم من ذلك ، يسعى الفصل إلى تجاوز تفسيرات فشل المعارضة التي لا تمنحها أي أهلية- فقد كانت المعارضة ضحية لقوى أكثر نفوذاً- لكنها في الوقت نفسه أسست للعديد من إخفاقاتها. يوضح هذا الفصل أهمية وجود مفهوم دقيق وشامل يخص المواطنة - والمجتمع بشكل أوسع - لنجاح أي حركات مستقبلية سواء في سوريا أو في أي مكان آخر.

واحد من أكثر الأسئلة إيلاماً غير المجاب عنها في الحرب الأهلية السورية هي كيف تحولت انتفاضة تروج لقيم الديمقراطية والحقوق العالمية والإدماج إلى صراع دولي، تعبث به تدخلات أجنبية متعددة، وتثار فيه التوترات الطائفية والإثنية إلى حد كبير؟ تحتج نظام بشار الأسد بأنه كان يحارب قوى التطرف منذ البداية. بينما تقول سردية المعارضة العلمانية أن نظام الأسد سمح عن عمد للخصوم المتطرفين بالازدهار بينما سحق الناشطين الآخرين، من أجل نزع أي مصداقية للانتفاضة، ثم جاء الفشل الحتمي للمعارضة بعد ذلك بسبب تدخلات القوى الأجنبية، الإقليمية والعالمية.

يعتبر موقف الناشطين العلمانيين هو الأقرب إلى الحقيقة، لكنه لا يزال يغفل جزءًا مهمًا من أسباب فشل الثورة. فلقد فشلت المعارضة السائدة في سوريا في صياغة تعريف شامل للمواطنة وبديل قائم على الإدماج يمكن له أن يهدئ من مخاوف الأقليات والعلمانيين وقطاعات أخرى في المجتمع - بما في ذلك السنة الذين عارضوا نظام الأسد ولكنهم لم يتمكنوا من رؤية مكان لأنفسهم في المستقبل الذي تصورته المعارضة المسلحة. يفسر عنف وقمع النظام والدعم الدولي له على أفضل وجه قدرة نظام الأسد على الاستمرار، لكن برامج المعارضة نفسها لا تزال تستحق التدقيق. إن فشل المعارضة المسلحة في خلق رؤية قوية للمواطنة السورية وبديل قائم على الإدماج يفسر درجة كبيرة محدودية قبولها الشعبي. إذ لم يكن بمقدورها أبداً أن تعكس القبول الجامع لموجة الحراك الأولى التي جمعت قطاعات كبيرة من السكان السوريين من خلفيات متنوعة.

يستكشف هذا الفصل تاريخ وممارسات صياغات المواطنة بين كيانات المعارضة الرئيسية المدعومة من الغرب والدول الإقليمية: المجلس الوطني السوري والائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية (المعروف باسم الائتلاف). يبحث هذا الفصل أيضًا في الكيفية التي تعاملت بها هذه الفصائل مع الإدماج والمواطنة, ما الذي قالوه وفعلوه, وكيف قاموا باستقطاب أو فشلوا في استقطاب أعضاء من مجموعات هوياتية مختلفة, وما الذي صاغوه أو لم يصيغوه حول الإدماج من خلال ممارساتهم, وكيف أثرت هذه الممارسات على التأييد والتعاطف الشعبي تجاههم. يسعى الفصل إلى تعميق فهم فشل المعارضة السورية من خلال وصف تفسخها عما كان ما يبدو ظاهرياً أنه حركة جامعة وسلمية إلى حد كبير. والأهم من ذلك, يحاول هذا الفصل تجاوز تفسيرات فشل المعارضة الذي لا تمنح المعارضة أي أهلية - فلقد كانت ضحية لقوى أكثر نفوذاً- لكنها في الوقت نفسه أسست للعديد من إخفاقاتها. تقدم الاستنتاجات الخاصة بهذا التحليل دليلًا على أهمية وجود رؤية دقيقة وشاملة تخص المواطنة - والمجتمع بشكل أوسع - من أجل نجاح أي حركات إصلاح مستقبلية في سوريا أو في أي مكان آخر.

سياق الانتفاضات: المواطنة والإدماج والحقوق

كانت سوريا (ما قبل الانتفاضة) مكانًا للقمع السياسي القائم, ولكنها كانت أيضًا مكاناً للتعددية الدينية والإثنية. شكل المسلمون العرب السنة حوالي 65 إلى 70% من مجموع السكان. وتوزع الباقون بين مجموعات مختلفة. كانت هناك أقليات مسلمة, شملت العلويين (10-12%) والدروز (1-3 في %) والشيعة (0.5 %) والإسماعيليين (1-2 %). كان هناك أيضا مجموعات مسيحية مختلفة (5-10 %). علاوة على ذلك, كانت هناك أقليات إثنية من مختلف الانتماءات الدينية: الأكراد (8-15%) والأرمن (0.5%) والآشوريين (1-3 %) والتركمان (1-4%) وآخرين.[1] كما كان هناك تواجد لمجموعات مهمة من الأجانب, وخاصة العراقيين والفلسطينيين, قبل الانتفاضة. فبحلول عام 2011, كان هناك حوالي 500,000 لاجئ فلسطيني مسجلين في سوريا , وما بين 1.2 إلى 1.5 مليون لاجئ عراقي مقيمين في البلاد, وهو تدفق للاجئين بدأ مع الغزو الأمريكي للعراق في عام 2003.[2]

[1] M. Izady, "Syria Ethnic Composition 2010," 2010, accessed February 10, 2019, http://gulf2000.columbia.edu/images/maps/Syria_Ethnic_Detailed_lg.png; Friederike Stolleis, "Discourses on Sectarianism and 'Minorities' in Syria," in Playing the Sectarian Card Identities and Affiliations of Local Communities in Syria, ed. Friederike Stolleis (Beirut: Frederich Ebert Stiftung, 2013), 7–10, https://library.fes.de/pdf-files/bueros/beirut/12320.pdf; and Jordi Tejel, Syria's Kurds: History, Politics and Society (New York: Routledge, 2009).

[2] أين نعمل», وكالة الأمم المتحدة للإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدني (الأونروا), 2011, https://www.unrwa.org/ar/where-we-work/ «خسائر الحرب: التبعات الاقتصادية والاجتماعية للصراع في سوريا», البنك الدولي. 10 يوليو/ تموز 2017 , https://www.albankaldawli.org/ar/country/syria/publication/the-toll-of-war-the-economic-and-social-consequences-of-the-conflict-in-syria2017. بالطبع , من المحتمل أن تكون نسب جميع هذه المجموعات قد تغيرت في سوريا بشكل كبير خلال سنوات الحرب , لأن نسبة كبيرة من إجمالي سكان البلاد قد تركوا منازلهم كلاجئين أو نازحين داخلياً.

لا يعني هذا التنوع أن النظام كان علمانياً أو أنه كانت هناك مساواة بين الطوائف والجماعات الإثنية المختلفة. إذ اختلفت الحقوق والواجبات في البلاد تبعاً للهوية الدينية والإثنية للشخص؛ ويبقى هذا الأمر واقعاً بعد سنوات من الحرب. إذ ينص دستور عام 2012، على سبيل المثال، على أن الرئيس يجب أن يكون رجلًا مسلمًا وأن «الفقه الإسلامي مصدر رئيسي للتشريع »، وهي مادة تمييزية ضد الطوائف الدينية الأخرى وضد النساء. لدى سوريا أيضًا ثمانية قوانين أحوال شخصية مختلفة , يتم تطبيق كل منها وفقًا للطائفة الدينية للفرد. وتتبع المجتمعات المسيحية والدروز قوانينهم الخاصة، في حين أن قوانين الأحوال الشخصية لبقية السكان المسلمين في سوريا تستند إلى تفسير سني معين للشريعة الإسلامية، وهو الفقه الحنفي، وغيره من المصادر الإسلامية. تتضمن هذه القوانين أيضًا أشكال تمييز صارخة ضد النساء، ويكرس بعضها لممارسات مقيتة.[3] على سبيل المثال , تقدم المادة 548 من قانون العقوبات عفواً كاملاً من العقوبة لما يسمى بجرائم الشرف.[4] مثال آخر هو «الاغتصاب الزوجي المقنن» المنصوص عليه في المادة 489 والتي تسمح للزوج بفرض نفسه على زوجته بالقوة ذلك رغم أنها تجرم أنواع أخرى من الاعتداء الجنسي.[5] وفي سياق مشابه ، تعد الهوية الإثنية العربية، وفقًا للدستور، هي الهوية العليا في سوريا، في حين يتم احتمال الهويات الأخرى باعتبارها هويات تابعة أو شبه محظورة، مثل الهوية الكردية. فلقد عانى السكان الأكراد في سوريا من سياسات تمييزية وقمعية على الأصعدة السياسية والاجتماعية والثقافية منذ استقلال سوريا عام 1946.

تعد هذه المنظومة القانونية وهذا الإطار السياسي، واللذان يتم تنظيمهما وفقًا للانتماءات الدينية والإثنية والأبوية، ضروريان للحفاظ على الانقسامات داخل المجتمع. وبالتالي، على الرغم من المظهر «الحداثي» المفترض للنظام، فإن له مصلحة حقيقية في الإبقاء على مثل هذه القوانين كأداة للتقسيم والهيمنة.

بالإضافة إلى الوضع القانوني، لم تكن المعارضة الصريحة بالطبع ممكنة في سوريا قبل الانتفاضة. فقد كان وصول حافظ الأسد

[3] بشكل عام، تقول المحامية السورية دعد موسى أن قوانين الأحوال الشخصية في سوريا «مبنية على مبدأ أن الرجل هو رب الأسرة، مما يقوض حقوق الإنسان الخاصة بالنساء.» انظر Mousa, Syrian Personal Status Laws (Beirut: Friedrich Ebert Stiftung, 2018), http://library.fes.de/pdf-files/bueros/beirut/14969.pdf.

[4] للمناقشة، انظر "Syria: Situation Report on Violence against Women," EuroMedRights, November 2017, https://euromedrights.org/wp-content/uploads/2017/11/Factsheet_VAW_Syria_EN_Nov2017.pdf
في معظم الحالات لا يتم عقاب جرائم الشرف، أو تتراوح العقوبة بين خمس وسبع سنوات.

[5] تنص المادة 489 من قانون العقوبات السوري على: "من أكره غير زوجه بالعنف أو التهديد على الجماع عوقب بالأشغال الشاقة خمس عشرة سنة على الأقل". انظر "Initial Report of States Parties: Syria," United Nations Committee on the Elimination of Discrimination against Women, August 29, 2005, https://www.refworld.org/country,,,STATEPARTIESREP,SYR,,4537782e0,0.html.

إلى السلطة في عام 1970 بمثابة بداية لبناء دولة توريثية «جمهورية وراثية» وموجات قمع عنيفة ضد جميع أشكال المعارضة داخل المشهد السياسي السوري. عندما توفي حافظ الأسد في يونيو/ حزيران 2000، خلفه نجله بشار. وخلال العقد الزمني الذي سبق انتفاضة 2011، تعززت سيطرة عائلة الأسد المباشرة وكذلك أقاربهم على الدولة بشكل كبير من خلال عملية تنفيذ متسارعة لسياسات نيوليبرالية واستبدال أجزاء من الحرس القديم بأقارب أو أفراد مقربين من بشار الأسد.[6]

على الرغم من ذلك، تصاعدت نفحة خافتة من الأمل في التغيير في بعض أجزاء البلاد في الوقت الذي صعد فيه بشار الأسد إلى السلطة، فتزايدت - بسرعة كبيرة- ظاهرة منتديات النقاش، التي اعتاد النشطاء وأعضاء المعارضة التعبير عن أنفسهم من خلالها. وبحلول عام 2001، زاد عدد هذه المنتديات عن 170 منتدى بطول البلاد ضمت أعداداً كبيرة من المشاركين.[7] لكن، سرعان ما أخمد النظام هذه المعارضة وبحلول نهاية عام 2001 ، شن النظام حملة قمع وحشية قادت إلى اعتقال والاعتداء على أعضاء ونشطاء المعارضة، وتم إسكات منتديات المناقشة.[8]

ورغم ذلك، واصل المجتمع المدني والمنظمات السياسية السورية التعبئة، داعين إلى إصلاحات وإلى مقرطة الدولة. وتميزت هذه المرحلة بسياق سياسي إقليمي غير مستقر مما هدد النظام السوري. وشمل ذلك في المقام الأول الحرب على العراق واحتلالها بقيادة الولايات المتحدة وبريطانيا عام 2003، والانسحاب العسكري السوري من لبنان في عام 2005. وفي ظل هذا المناخ السياسي المتزعزع، أرادت المعارضة داخل البلاد الدفع باتجاه المزيد من الإصلاحات.

في أكتوبر/ تشرين أول 2005، وقّع أكثر من 250 شخصية معارضة رئيسية من مختلف الخلفيات الدينية والعرقية والأحزاب السياسية على إعلان دمشق، وهو بيان يدعو إلى «تغيير ديمقراطي وجذري» في سوريا على أساس الحوار، وإلى إنهاء حالة الطوارئ (المفروضة منذ عام 1963)، وإطلاق سراح السجناء السياسيين. كان هدف الائتلاف الرئيسي هو

[6] يستخدم لفظ النيوليبرالية هنا للإشارة إلى شكل تنظيمي معين للرأسمالية يضمن استمرار الأوضاع اللازمة لإعادة الإنتاج الرأسمالي على مستوى عالمي كجزء من مساعي الطبقة الحاكمة، وظهرت النيوليبرالية خلال فترات الركود في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي وأدت إلى إعادة هيكلة وإنتاج أشكال جديدة وواسعة من التراكم الرأسمالي. انظر Eddie Cimorelli, “Take Neoliberalism Seriously,” International Socialism, March 31, 2009, http://isj.org.uk/take-neoliberalism-seriously/. يؤكد ديفيد هارفي أن الهدف من وراء النيوليبرالية , هو تطوير «نظام جديد لتراكم رأس المال يتميز بالحد الأدنى من تدخل الدولة في الاقتصاد , بحيث يقتصر على إنشاء الوظائف/ الأطر القانونية والسياسية والعسكرية اللازمة لضمان التشغيل الملائم للأسواق وخلقها في تلك القطاعات التي لا تتواجد فيها » Cited in Roberto Roccu, “Gramsci in Cairo: Neoliberal Authoritarianism, Passive Revolution and Failed Hegemony in Egypt under Mubarak, 1991–2010” (PhD diss., University of London, London School of Economics, 2012), 72.

[7] Hassan Abbas, “Reinforcing Values of Citizenship” in Syrian Voices from Pre-Revolution Syria: Civil Society against All Odds, ed. Salam Kawakibi, Special Bulletin No. 2, Hivos and Knowledge Programme Civil Society in West Asia, April 2013, https://hivos.org/sites/default/files/publications/special20bulletin202-salam20kawakibi20_6-5-13_1.pdf.

[8] Alan George, Syria: Neither Bread nor Freedom (London: Zed Books, 2003).

الانتقال التدريجي والسلمي إلى الديمقراطية من خلال إصلاح النظام، لكنه كان أيضًا محاولة لتوحيد المعارضة السورية المتصدعة. فمن بين الموقعين على الإعلان التجمع الوطني الديمقراطي (وهو تحالف وطني ليبرالي- يساري من خمسة أحزاب)، ولجان إحياء المجتمع المدني، والتحالف الديمقراطي الكردي في سوريا، والجبهة الديمقراطية الكردية في سوريا، وعدد من الشخصيات المستقلة، ضمت عضو البرلمان السابق رياض سيف. دعمت جماعة الإخوان المسلمين ، المحظورة في سوريا، إعلان دمشق، لكنها في عام 2006 وحدت قواها مع 15 جماعة معارضة أخرى، إلى جانب نائب الرئيس السوري السابق عبد الحليم خدام، الذي كان قد انشق للتو عن النظام، في إنشاء جبهة الخلاص الوطني.[9] انتقد العديد من الموقعين البارزين لإعلان دمشق هذا التحالف الجديد، وكمجموعة رفضوا الانضمام إليه.[10]

في عام 2007، تم تأسيس المجلس الوطني لإعلان دمشق في سوريا، لكن انتخابات رئاسته في ديسمبر/ كانون أول من ذلك العام أدت إلى صراعات عميقة بين الفصائل اليسارية والقومية تحت قيادة حسن عبد العظيم وهيثم مناع من جانب، والتيارات الإسلامية والفصائل الليبرالية بقيادة رياض الترك ورياض سيف من جانب آخر. وفي الوقت نفسه، شرع النظام في اعتقال أعضاء الإعلان، فاعتقل ولاحق قانونياً اثني عشر من قادة الإعلان في عام 2008 وحكم عليهم بالسجن لمدد تتراوح بين ثلاث وست سنوات. استمرت اعتقالات النشطاء السياسيين حتى نهاية العقد. في الوقت نفسه، كان التحالف منقسماً على نفسه من الداخل. إذ أدت معارك القيادة إلى شل حركة الأئتلاف، حيث انجرفت بعض الفصائل إلى تحالفات جديدة بينما دفعت فصائل أخرى إلى المنفى. كما تم تهميش الأحزاب الكردية والآشورية خلال معارك القيادة في 2007-2009. بعد عامين منذ لك الوقت، في بداية الانتفاضة، أصبحت تلك الأحزاب تطرح نفسها بشكل أكثر استقلالية. في عام 2009، أعلن إعلان دمشق عن وجود قيادة جديدة له من المنفى. لكنها كانت ضعيفة بشكل فادح، خاصة في ظل وجود عدد قليل فقط من الأعضاء في سوريا، وعدم قدرة القيادة على توحيد قطاعات أخرى من المعارضة.[11]

في عام 2009، أعلن المراقب العام لجماعة الإخوان المسلمين في سوريا، علي صدر الدين

[9] ضمت الجبهة نائب الرئيس السابق عبد الحليم خدام.

[10] Liad Porat, “The Syrian Muslim Brotherhood and the Asad Regime,” Crown Center for Middle East Studies, Brandeis University, December 2010, http://www.brandeis.edu/crown/publications/meb/MEB47.pdf.

[11] Jean Pierre Perrin, “Damascus Puts the Opposition in the Shade” [in French], Libération, October 30, 2008 http://www.liberation.fr/monde/0101165847-damas-remet-l-opposition-a-l-ombre; Wael Sawah, “Syrian Civil Society Scene Prior to Syrian Revolution,” Working Paper No. 21, Knowledge Programme Civil Society in West Asia, 2012, https://hivos.org/sites/default/files/publications/wp_21_wael_sawah_final.pdf;
"إعلان دمشق»، مركز كارنيجي للشرق الأوسط، 1 مارس 2012، https://carnegie-mec.org/syriaincrisis/?fa=48515

البيانوني، انتهاء مشاركة الإخوان المسلمين في جبهة الخلاص الوطني. خلال هذه الفترة، كانت سوريا في مرحلة تقارب مع الدول الغربية بعد فترة من العزلة على الساحة السياسية الدولية. في هذه الأثناء، كانت المعارضة منقسمة بشدة وضعيفة. وفي هذا السياق، سعى الإخوان المسلمون بسوريا إلى الوصول إلى توافق مع النظام، حيث بدا أن النظام يكتسب مزيداً الاستقرار.[12] عندما بدأت الانتفاضة في عام 2011، قامت جماعة الإخوان المسلمين مرة أخرى بتبديل ولاءاتها وإنهاء تقاربها مع الحكومة؛ يمكننا النظر إلى أحداث 2009 باعتبارها نذيراً بالانشقاقات اللاحقة في صفوف المعارضة.

كانت المشكلة الرئيسية للمعارضة السياسية في السنوات التي سبقت الانتفاضة هي ضعف إمكاناتها وقدراتها على الوصول إلى قطاعات واسعة من السكان، وخاصة الطبقات الشعبية والأجيال الشابة. ويمكن عزو فشلها في تحقيق هذه الجماهيرية الأوسع لعدة أسباب؛ فمن ناحية، حصرت المعارضة مطالبها في مقرطة الحكومة من خلال الإصلاحات. في الوقت نفسه، أهملت معالجة القضايا الاقتصادية الاجتماعية التي مثلت أولوية بالنسبة للكثيرين في البلاد، وخاصة في وقت تصاعدت فيه اللامساواة الاجتماعية والبطالة الإفقار العام. ثم، تجاهلت المعارضة القضايا الرئيسية الأخرى، مثل توفير حل شامل للقضية الكردية.

بالتوازي مع هذه المشكلات، كان هناك جيل جديد من النشطاء الشباب يبرز في سماء سوريا ممن كانوا - بشكل شبه كامل- غير منخرطين في الأحزاب السياسية التقليدية المذكورة أعلاه. قام هؤلاء النشطاء بسلسلة من الأنشطة في المجتمعات والجامعات، حول قضايا الديمقراطية والقضايا الاجتماعية والاقتصادية. سيلعب هذا الجيل الجديد من النشطاء دورًا مهمًا في بداية الانتفاضة في عام 2011. وطوال فترة تجمع المعارضة في العقد الأول من القرن الجديد، كانت سوريا تمر أيضًا بتغيرات اقتصادية من شأنها أن يكون لها تأثير مزلزل هائل في نهاية المطاف على المجتمع، وهو التأثير الذي تبلور في أحداث 2011.

أيام الانتفاضة الأولى

عندما بدأت الانتفاضات السورية في عام 2011، تميزت الحركة الشعبية بتعدديتها وتنوعها من حيث الأعراق والطوائف، رغم أن المكون الأكبر كان، بطبيعة الحال، من الأغلبية العربية السنية. في الواقع، كان هناك قدر كبير من التوحد حول هدف واحد في الأيام الأولى من الانتفاضة، الأمر الذي طغت عليه لاحقاً سنوات المذابح التي تلت ذلك.

[12] Porat, “The Syrian Muslim Brotherhood,” 1–4.

جاء الأفراد المشاركون في هذا الحراك من مختلف مناحي الحياة. في المقام الأول، كان هناك النشطاء الذين شاركوا في نضالات عديدة ضد النظام قبل انتفاضة 2011. كانت الغالبية العظمى من العلمانيين الديمقراطيين الذين ينتمون إلى جميع المجتمعات، بما في ذلك الأقليات الإثنية والدينية. لعب بعض هؤلاء النشطاء أدوارًا مهمة في اللجان الشعبية التي ظهرت، وفي تطوير ممارسات سلمية ضد النظام. كان هؤلاء شباب من الطبقات العاملة والمتوسطة، وغالبا ما كانوا خريجين جامعيين ومن مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي. هذه المعارضة المدنية السورية القاعدية كانت هي المحرك الأساسي للانتفاضة الشعبية ضد نظام الأسد.[13] كان أعضاء لجان التنسيق المحلية، والتي لعبت دورًا مهمًا على المستوى الوطني، بشكل عام شباباً معولمين وذوي تعليم عالٍ ، وضموا بينهم بعض نشطاء حقوق الإنسان والمحامين.[14] وكان عدد كبير منهم من النساء.

والموظفين الحضريين، والعمال الأجراء، والذين تحملوا وطأة تنفيذ سياسات الليبرالية الجديدة، خاصة منذ صعود بشار الأسد إلى السلطة. ومن المثير للاهتمام، أن هذه هي نفس المجموعات التي استفادت ذات يوم من سياسات حزب البعث الاجتماعية والاقتصادية. أظهرت جغرافيا الثورات في إدلب ودرعا وغيرها من البلدات متوسطة الحجم، وكذلك في المناطق الريفية الأخرى، نمطًا معيناً: فجميعها كانت معاقل تاريخية لحزب البعث، واستفادت من سياسات الإصلاح الزراعي في الستينيات.[15] وكان ريف دمشق والبلدات المحيطة بالعاصمة، وهي مراكز الاحتجاج الحيوية منذ بداية الانتفاضة ، تسمى بحزام الفقر، في حين أن خريطة الأحياء التي تسيطر عليها المعارضة في حلب منذ صيف عام 2012 هي تقريبًا نفس أحياء الطبقة العاملة من العرب السنة المعدمين: وهي أحياء ذات كثافة سكانية عالية، وتخطيط رديء ونمو حضري حديث نسبيا.[16]

ومع ذلك، فإن أعضاء الانتفاضة السورية الأكثر عدداً والأهم، من البداية، كانوا العمال العرب السنة الريفيين المهمشين اقتصادياً، باستثناء المناطق الكردية والآشورية، لم تشهد البلدات متوسطة الحجم والمناطق الريفية المأهولة بالسكان حراكاً جماهيرياً

[13] Doreen Khoury, “Losing the Syrian Grassroots,” SWP Comments 9 (February 2013): 3, http://www.swp-berlin.org/fileadmin/contents/products/comments/2013C09_kou.pdf

عاصي أبو نجم، «التنسيقيات: مولود من تحت الأرض»، الأخبار، 2011، https://www.al-akhbar.com/Arab/95305

[14] خاصة اتحاد تنسيقيات الثورة السورية، ولجان التنسيق المحلية، واتحاد طلبة سوريا الأحرار.

[15] سمير سعيفان، السياسات توزيع الدخل ودورها في الانفجار الاجتماعي في سورية، خلفيات الثورة، دراسات سورية، مجموعة مؤلفين، تحرير عزمي بشارة، (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013).

[16] Liam Stack and Katherine Zoepf, “Protesters in Syria Plan Large March Near Capital,” New York Times, April 7, 2011, http://www.nytimes.com/2011/04/08/world/middleeast/08syria.html; David Kilcullen and Natt Rosenblatt, “The Rise of Syria’s Urban Poor: Why the War for Syria’s Future Will Be Fought Over the Country’s New Urban Villages,” PRISM, 2012, http://cco.ndu.edu/Portals/96/Documents/prism/prism_4-syria/The_Rise_Of_Syrias_Urban_Poor.pdf.

مماثلاً. ومع ذلك كانت شواهد المعارضة واضحة - في بعض الحالات، في شكل مظاهرات ضخمة في الشوارع - في أماكن مثل السلمية، وهي مدينة ذات أغلبية إسماعيلية، والسويداء، وهي مدينة ذات أغلبية درزية. وشارك العديد من النشطاء المنتمين لأقليات مختلفة في أنشطة مضادة للنظام في جميع أنحاء البلاد في مدن مختلفة. ففي دمشق على سبيل المثال، تعاون نشطاء من خلفيات مسيحية بشكل عام في مع نشطاء آخرين من خلفيات عرقية وطائفية مختلفة. ولم يكن نشاطهم مقصوراً على مناطق بعينها.[17] علاوة على ذلك، كان النشطاء من مناطق الأقليات وغيرها من الأماكن يقومون بزيارة مناطق أخرى في بداية الانتفاضة والتظاهر مع أهلها لإظهار وحدة الشعب السوري والتضامن مع هذه المناطق التي ترزح تحت القمع الشديد لقوات الأمن التابعة للنظام. وكان الهدف أيضًا هو تكذيب بروباجندا النظام، التي كانت تتهم المنظمات السلفية و»الإرهابية» بإثارة الاضطرابات في البلاد.

مثل طلبة الجامعات وحديثو التخرج والشباب من الطبقتين الدنيا والوسطى قطاعاً رئيسياً وكوزموبوليتانياً من الانتفاضة. فلقد كانوا، على نحو خاص، جزءًا مهمًا من الحراك في بداية الانتفاضة. حيث تأسس اتحاد طلبة سوريا الأحرار في سبتمبر/ أيلول 2011، للنضال ضد النظام والعمل من أجل ديمقراطية مدنية وتعددية يعامل فيها جميع المواطنين على قدم المساواة. وأسست معظم الجامعات السورية التي ضمت نشطاء فروعاً للاتحاد.[18] وواجه الاتحاد قمع أعضاء اتحاد الطلبة الرسمي التابع للنظام وكذلك قمع الأجهزة الأمنية. وبحلول يوليو/ تموز 2012، وفقًا لإحصائيات الاتحاد، مثل طلبة الجامعات ربع عدد القتلى في الحراك منذ اندلاعه في منتصف مارس/ آذار 2011.[19]

تبنت قطاعات كبيرة من البرجوازيين خاصة في دمشق وحلب، والذين لا تربطهم صلات قوية بالنظام، في البدء موقفاً سلبياً، مفاده «لننتظر ونرى». وبشكل عام ، كانوا مترددين بشأن المشاركة أو الانخراط في الحراك ، إلا من خلال الوسائل التي قد تبقيهم خارج دائرة الضوء، لكن على الرغم من ذلك، فقد شارك

[17] Rand Sabbagh, “Attitudes of Christians in the Syrian Capital,” in Stolleis, Playing the Sectarian Card, 71–89.
[18] “Founding Statement for the Union of Free Syrian Students,” LCC Facebook page, September 29, 2011, https://www.facebook.com/notes/لجان-التنسيق-المحلية-في-سوريا/founding-statement-for-the-union-of-free-syrian-students/291890390838104/; “Union of Free Syrian Students,” Syria Untold, May 6, 2013, http://www.syriauntold.com/en/work_group/union-of-free-syrian-students/;
ومقابلة عن طريق سكايب مع آلان حصاف، العضو السابق باتحاد طلبة سوريا الأحرار بتاريخ 9 يوليو/ تموز 2018.
[19] في 2011، كان في سوريا خمس جامعات حكومية: دمشق وحلب وحمص واللاذقية ودير الزور، وفروع إقليمية لهذه الجامعات في درعا والسويداء وإدلب وطرطوس والحسكة والرقة.

بعضهم في الاحتجاجات بشكل مباشر.[20] ومع استعار الحرب، قررت نخب عديدة من رجال الأعمال أيضًا مغادرة سوريا ونقل أجزاء كبيرة من رؤوس أموالهم خارج البلاد.

حددت لجان التنسيق المختلفة ديناميكية الانتفاضة من خلال تنظيمها للمقاومة الشعبية ضد نظام الأسد، اتخذت هذه المقاومة أشكال عدة، مثل تنظيم المظاهرات وحملات العصيان المدني والإضرابات. ولم تكن بعض لجان التنسيق المحلية مرتبطة بأي تحالف أكبر، لكن ذلك لم يمنعهم من تنسيق أنشطة احتجاجية مع لجان التنسيق الأخرى في المناطق المجاورة. ومع تحول الانتفاضات إلى العنف، كان على هذه اللجان أن تلعب، وبشكل متزايد، أدوار إغاثة. وفي النهاية دعمت هذه اللجان عسكرة الثورة. بالمثل، كانت هناك مجموعات من المتظاهرين في أحياء ومناطق بعينها لعب رجال الدين فيها دورًا مهمًا. وتباينت القناعات السياسية بشكل كبير بين الزعماء الدينيين الذين انضموا إلى الانتفاضة، من السلفية إلى الاتجاهات الأكثر ليبرالية.[21]

أخيرًا، شاركت عناصر من المعارضة «التقليدية» أيضًا في الحركة الاحتجاجية، وكان من بينها بعض الأحزاب السياسية الكردية والمجموعات اليسارية وشبكات القوميين والليبراليين والإسلاميين. هذا وقد انضم العديد من النشطاء السابقين وأعضاء المعارضة السياسية، بشكل مستقل، إلى لجان التنسيق المحلية المختلفة، وإلى تنظيمات جديدة تشكلت خلال الانتفاضة، ولكن ليس من خلال منظماتهم السياسية.

الجذور الجامعة للحراك

أكدت الغالبية العظمى من مجموعات الحراك في السنوات الأولى للانتفاضة على مبدأ الإدماج وتحدت الطائفية، متغنين بشعارات مثل «واحد واحد واحد، الشعب السوري واحد» ومعلنين دعمهم للديمقراطية. في الوقت نفسه، كانت بعض المجموعات الطائفية الصغيرة حاضرة منذ بداية الانتفاضة، وتطورت هذه المجموعات اللاحقة مع ازدياد دموية قمع النظام. حاولت هذه المجموعات أن تروج لخطاب طائفي إقصائي. في بعض المظاهرات، على سبيل المثال، كانت مجموعات صغيرة من المتظاهرين تذكر اسم الزعيم السلفي عدنان العرعور، الذي فر من سوريا في أعقاب مذبحة حماة سنة 1982 وأقام في المملكة العربية السعودية. وكان العرعور يحظى بجمهور مهم نسبيا بين بعض قطاعات المعارضة في الأيام الأولى من

[20] Hassan Abbas, "The Dynamics of the Uprising in Syria," Jadaliyya, October 19, 2011, http://www.jadaliyya.com/pages/index/2906/the-dynamics-of-the-uprising-in-syria.
[21] Omar Hossino, "Syria's Secular Revolution Lives On," Foreign Policy, February 4, 2013, http://foreignpolicy.com/2013/02/04/syrias-secular-revolution-lives-on/.

الانتفاضة.[22] ونال العرعور شهرته في ذلك الوقت نتيجة لظهوره المتكرر على قناتين فضائتين سلفيتين مملوكتين للسعودية وتحظيان بنسب مشاهدة عالية في سوريا. كرست هاتان القناتان معظم أوقات بثهما لمهاجمة الإسلام الشيعي. ورغم أن العرعور عارض النظام، إلا أنه فعل ذلك من خلال الترويج لخطاب طائفي ضد العلويين. ومع ذلك، فإن هؤلاء المؤدلجين كانوا هم الاستثناء في سوريا في بداية الحراك. إذ كان الخطاب السائد هو وحدة وحرية الشعب السوري وكان خطاباً ضد الطائفية.

وتكررت شعارات مثل «كلنا سوريون، نقف متحدين» في المظاهرات وعلى الشبكات التواصل الاجتماعي مثل فيسبوك وتويتر وخلافاً لاتهامات النظام المستمرة بأن المتظاهرين جميعاً سلفيين وسنة طائفيين، أكد المحتجون على انخراط ومشاركة الأقليات الدينية والإثنية. في الوقت نفسه، كان التضامن بين الطوائف الدينية والمدن المختلفة ظاهراً منذ البداية، وخاصة بين النشطاء ومنظمات الشباب. فخلال صيف عام 2011، استقبلت مدينة سلمية ذات الأغلبية الإسماعيلية حوالي 20.000 شخص تم تهجيرهم قسرياً من قبل قوات الأمن التابعة للنظام من حماة، معظمهم من السنة. مثل موقف النازحين الحمويين في سلمية في الواقع شكلاً من أشكال النضال السياسي: فحقيقة أن الأغلبية السنية الحموية وجدت ملاذاً لها في مدينة مثل سلمية وهي موطن للأقليات الدينية، وحقيقة أن نشطاء سلمية هم الذين كسروا حصار حماة أظهر التضامن الشعبي للحراك.[23]

أوضحت الناشطة النسوية رزان غزاوي أن مدينة دمشق وبلدياتها شهدت مشاركة متزايدة في عام 2012 من النساء المنتميات لأقليات دينية والنساء السنيات غير المحجبات. إذ اعتبرتهم سلطات النظام أقل إثارة للريبة من النساء السنيات المحافظات المحجبات، وبالتالي لم يكن يتم تفتيشهن في نقاط التفتيش العسكرية. انتهزت هؤلاء النساء هذه الفرصة لتهريب الأدوية والمواد الغذائية وغيرها من المواد الضرورية إلى مناطق مختلفة ترزح تحت حصار وقمع النظام، وكذلك لتهريب النشطاء خارج هذه المناطق. في نهاية عام 2012، بدأ النظام يلاحظ أن النساء المنتميات للأقليات والنساء السنيات غير المحجبات يلعبن دوراً هاماً في دعم الناشطين والمناطق التي تسيطر عليها المعارضة، وبدأوا يفرضون مزايداً من القيود الأمنية والسيطرة الأكثر منهجية على الجميع في نقاط التفتيش.[24] دعا قادة المعارضة، بعد بداية الانتفاضة، أحزابهم إلى الاتحاد رغم الخلافات السياسية

[22] «شام- حماه- حلفايا- مسائيات رفض المؤتمر 27-6 ج2، فيديو على يوتيوب. 0.15 دقيقة، «شبكة شام»، 27 يوليو/ تموز، 2011
https://www.youtube.com/watch?reload=9&feature=player_embedded&v=ari1HXh4PjU

[23] Sabr Darwish, “Cities in Revolution: Salamiyah,” Syria Untold, August 9, 2016, http://cities.syriauntold.com/#_ftnref45.
وناشط مجْهل سابق من السلمية، مقابلة مع المؤلف، باريس. 9 يوليو/ تموز 2017.

[24] مقابلة مع المؤلف من خلال سكايب، 10 يوليو/ تموز 2018.

والشخصية، من أجل تطوير رؤية مشتركة.[25] تم إنشاء هيئة التنسيق الوطنية لقوى التغيير الديمقراطي في دمشق في يونيو/ حزيران 2011، وجمعت الهيئة خمسة عشر حزباً سياسياً وعدد من الشخصيات المستقلة.[26] والتزم أعضاء الهيئة بثلاثة مبادئ: «لا» للتدخل العسكري الأجنبي ، «لا» للتحريض الديني والطائفي ، و «لا» للعنف وعسكرة الثورة.[27] جميع هذه الخطوط تم تجاوزها في وقت لاحق ، ولكن الإعلان عنهم كان تجسيداً لروح الانتفاضة في أيامها الأولى، ذلك رغم انفصال قيادة الهيئة الوطنية أغلب الوقت عن الحركة الشعبية في الشوارع.

العسكرة

تعامل النظام مع المظاهرات بعنف بالغ، منذ الأيام الأولى للثورة. وكان رد فعل النظام على المظاهرات الأولى قاسياً للغاية، حيث تم قتل حوالي مائة شخص في الأسبوع الذي تلا اندلاع المظاهرات في درعا.[28] واستمرت الأجهزة الأمنية على هذا المسار وصعدت تدريجياً القمع ضد المتظاهرين طوال الأشهر الأولى، بينما كانت تعتقل المعارضين السياسيين في نفس الوقت. استهدف النظام على وجه الخصوص شبكات النشطاء الديمقراطيين المنظمين ذوي التوجهات العلمانية، الذين بدأوا المظاهرات، وموجات العصيان المدني، والحملات الداعمة للإضرابات. لقد تمكن هؤلاء النشطاء، بسبب مهاراتهم التنظيمية وكذلك بسبب خطابهم ورسالتهم الديمقراطية والساعية للإدماج، من تقويض بروباجندا النظام التي تتهم مؤامرة من العناصر المسلحة المتطرفة والطائفية بأنها وراء البلبلة. تم سجن أعداد كبيرة منهم أو قتلهم أو ترحيلهم إلى النفي. ومع ذلك، بحلول أوائل عام 2012، كان هناك ما يقرب من 400 لجنة تنسيقية مختلفة في سوريا، على الرغم من حملات القمع المكثفة من قبل قوات الأمن التابعة للنظام.[29]

أدى هذا الوضع إلى ارتفاع عدد الانشقاقات بين الجنود الإلزاميين. حيث رفض الضباط إطلاق النار على المتظاهرين السلميين. في الوقت نفسه، بدأت المقاومة المسلحة غير المنظمة الأولية ضد الأجهزة الأمنية في الظهور في أوائل صيف 2011 في بعض المناطق. وفي الأشهر التالية، تم تأسيس الجيش السوري

[25] من بين هؤلاء القادة شخصيات مثل برهان غليون وميشيل كيلو وحسين العودات وعارف دليلة وحبيب عيسى وعبد العزيز الخير وحازم نهار.

[26] ضمت هيئة التنسيق عند تأسيسها شخصيات وأحزاب معارضة من خلفيات يسارية وقومية عربية ، بالإضافة إلى حزب الاتحاد السرياني وحركتين يساريتين كرديتين ، بما في ذلك حزب الاتحاد الديمقراطي الكردي. «هيئة التنسيق الوطنية لقوى التغيير الديمقراطي»، مركز كارنيجي للشرق الأوسط، 15 يناير/ كانون ثاني 2012، https://carnegie-mec.org/syriaincrisis/?fa=48397.

[27] “National Coordination Body for Democratic Change”; and Narmin Amir and Yusuf Fakhr ed Din, “Interview with Abdalaziz al-Khair, Leading Figure of the National Coordination Body for Democratic Change, Syria,” Anti-Imperialist Camp, May 16, 2012,
http://www.antiimperialista.org/en/al_khair

[28] “La contestation s’étend dans le Sud syrien,” [The dispute spreads in southern Syria], L’Orient le jour, March 22, 2011,
http://www.lorientlejour.com/article/695752/La_contestation_s%27etend_dans_le_Sud_syrien_.html.

[29] Khoury, “Losing the Syrian Grassroots,” 3.

الحـر، وكذلـك العديـد مـن الفـرق العسـكرية الأخـرى. (كان الجيـش السـوري الحـر فـي البدايـة أحـد أبـرز فصائـل المعارضـة المسـلحة) وسـادت المقاومـة المسـلحة ضـد النظـام تقريبًـا بحلـول نهايـة عـام 2011، خالقـة بذلـك ديناميـات جديـدة للانتفاضـة. جـاءت العسـكرة بشـكل أساسـي كنتيجـة للقمـع العنيـف للمدنييـن السـوريين الذيـن عارضـوا النظـام - سـعى الكثيرون ببسـاطة للدفـاع عن أنفسـهم. وكان لمجموعـات المعارضة المسـلحة الأولـى التـي بـدأت فـي الظهـور طابعاً محليـاً فـي أغلـب الأحيـان، وعملـوا علـى الدفـاع عـن بلداتهـم ومناطقهـم فـي وجـه أجهـزة الأمـن المسـلحة.

ينتمـي أعضـاء وحـدات الجيـش السـوري الحـر عمومًـا إلـى نفـس أجـزاء المجتمع التـي قدمـت العـدد الأكبـر مـن المتظاهريـن فـي الانتفاضـة: العمـال المهمشـين فـي المـدن والريـف ، فـي القطاعيـن الرسـمي وغيـر الرسـمي للاقتصـاد.[30] وضمـت بعض المعارضـة المسـلحة جنوداً منشـقين مـن الجيـش السـوري النظامـي، إلا أن غالبيتهـم العظمـى كانـوا من المدنيين الذيـن قـرروا حمـل السـلاح.[31] ونظراً لافتقارهـم إلـى الوحـدة والمركزيـة ، نسـقت هـذه الجماعـات المقاتلـة فيمـا بينهـا بخصـوص معـارك محـددة ، لكـن نـادراً مـا تـم ذلـك فيمـا يخـص القـرارات السياسـية والاسـتراتيجية. اجتمعـت هـذه المجموعـات عمومًـا حـول روابـط قرويـة أو عائليـة، مـع القليـل مـن التماسـك الإيديولوجـي.

علـى الرغـم مـن أن المقاتليـن كانـوا فـي أغلـب الأحيـان مـن المسـلمين السـنة المحافظيـن المنتميـن إلـى أحيـاء الطبقـة العاملـة ، إلا أنهـم وخلافـاً لادعـاءات نظـام الأسـد ، لـم يكونـوا مدفوعين بأيديولوجيـة أصوليـة دينيـة بعينها.[32] فأظهـر مسـح للمعارضـة أجـراه المعهـد الجمهـوري الدولـي واسـتطلاعات بيتشـتر بجامعـة برينسـتون فـي يونيـو/ حزيـران 2012، أن معظـم مقاتلـي المعارضـة المسـلحة أيـدوا وجـود نظـام أو عمليـة ديمقراطيـة مـا. وأظهـر الاسـتطلاع أن 40 بالمائـة منهـم يفضلـون حكومـة انتقاليـة فـي دمشـق، تليهـا انتخابـات، فيمـا أعلـن 36 بالمائـة أنهـم يريـدون جمعيـة دسـتورية، ثـم انتخابـات، كمـا فعلـت تونـس بعـد ثورتهـا.[33]

[30] Darwish, “Cities in Revolution: Salamiyah”; and Sabr Darwish, “Cities in Revolution: Deir el-Zor,” Syria Untold, September 10, 2016, http://cities.syriauntold.com/#_edn10.
[31] Joseph Halliday, “Syria’s Armed Opposition,” Middle East Security Report No. 3, Institute for the Study of War, March 7, 2012, http://www.understandingwar.org/sites/default/files/Syrias_Armed_Opposition.pdf; and Erika Solomon, “Rural Fighters Pour into Syria’s Aleppo for Battle,” Reuters, July 29, 2012, http://mobile.reuters.com/article/marketsNews/idUSL6E8IT0TY20120729.
[32] Adrien Jaulmes, “Une insurrection syrienne plus conservatrice qu’extrémiste,” [A Syrian insurgency more conservative than extremist], Le Figaro, July 30, 2012, http://www.lefigaro.fr/international/2012/07/30/01003-20120730ARTFIG00409-syrie-une-insurrection-musulmane-conservatrice.php; “Q&A: Nir Rosen on Syria’s Armed Opposition,” Al Jazeera English, February 20, 2012, http://www.aljazeera.com/indepth/features/2012/02/201221315020166516.html; and Felix Legrand, “The Strategy of Jabhat Al-Nusra / Jabhat Fath Al-Sham in Regarding the Truces in Syria,” Network of Research of International Affairs, October 2, 2016,
http://www.noria-research.com/strategy-regarding-truces-in-syria/, 1
[33] Cited in Michael Weiss and Hassan Hassan, ISIS: Inside the Army of Terror (New York: Reagan Arts, 2015), 181.

ظهر الجيش السوري الحر إلى الوجود في منتصف عام 2011 كهيئة تنسيقية لمختلف فصائل المتمردين، واتسم في البداية بتنوع الآراء السياسية لأفراده، وإلى حد ما، بتنوع إثني وطائفي في تكوينه. دافع لواء (أحفاد) صلاح الدين الكردي في حلب وشمال سوريا عن برنامج ديمقراطي لجميع السوريين دون تمييز.[34] فيما أُنشئت كتائب الوحدة الوطنية في ريف دمشق في عام 2012 وكان لها تطلعات ديمقراطية وساعية للإدماج. أعلن المتحدث باسم هذه المجموعة أن «الدين لله، والوطن للجميع». وأضاف أن «كتائب الوحدة الوطنية تعمل من أجل دولة مدنية وديمقراطية لجميع الأعراق والهويات الاجتماعية».[35] وارتبط اللواءان العسكريان أسود الغوطة وأسود الله بالأحزاب السياسية الاشتراكية والقومية العربية في دوما، حيث كان لهذه الأحزاب وجود تاريخي في منافسة مع الحركات الأصولية الإسلامية هناك.[36] وشارك عدد أقل من الأقليات الدينية في المعارضة المسلحة كمقاتلين، لا سيما بالمقارنة مع مشاركتهم الأعلى في الحركة الشعبية المدنية. الأشخاص الذين انضموا إلى الجماعات المسلحة من هذه الأقليات كانوا يفعلون ذلك على أسس فردية.

على الرغم من ذلك، لم تكن وحدات الجيش السوري الحر المختلفة قادرة مطلقًا على التوحد رسميًا والعمل كمنظمة واحدة خلال الانتفاضة، رغم العديد من المحاولات من مبادرات محلية وأجنبية. علاوة على ذلك، لم تكن المعارضة السورية المسلحة جيدة التسليح ولا جيدة التمويل.[37] وبالمثل، فإن العديد ممن كانوا جزءاً من اللجان التنسيقية المختلفة، والتي كانت عاقدة العزم على مواصلة نضالها السلمي، غيروا مواقفهم مع تزايد عسكرة الانتفاضة وفي مواجهة قمع النظام العنيف. إلا أنه، وفقاً للعديد من النشطاء، فقد أضعفت العسكرة المتزايدة الحراك إلى حد كبير. إذ عانت المناطق الواقعة تحت سيطرة كتائب الجيش السوري الحر، لا سيما في بعض الحالات التي شهدت توسعاً في ديناميات العسكرة، من انعدام القانون وانخرطت بعض الجماعات في السلب والنهب. وبدأ النشطاء، في بعض المناطق، يشكون من التوجهات الطائفية لبعض الأفراد المقاتلين.[38]

[34] Hossino, “Syria’s Secular Revolution Lives On.”
[35] “Interview with Member of the ‘National Unity Brigades’ of the FSA,” Darth Nader, October 17, 2012, https://darthnader.net/2012/10/17/interview-with-member-of-the-national-unity-brigades-of-the-fsa/.
ترجمة عن الإنجليزية نظرا لتعذر الحصول على الاقتباس بالعربية
[36] Majd al-Dik, A l’est de Damas, au bout du monde, témoignage d’un révolutionnaire syrie [East of Damascus, at the end of the world: Testimony of a Syrian revolutionary] (Paris: Don Quichotte Editions, 2016), 190–91.
[37] “Q&A: Nir Rosen”.
[38] “Kurdish-Arab Fraternity Coordination Committee,” Syria Untold, February 21, 2014, http://www.syriauntold.com/en/work_group/kurdish-arab-fraternity-coordination-committee/.

المعارضة تحيد عن مبادئها

في الوقت الذي كان فيه قمع النظام السوري الوحشي للانتفاضة يدفع بالمعارضة نحو العسكرة السريعة, زاد التورط المباشر للقوى الإقليمية والعالمية مع الجماعات السورية المتمردة. وسيكون للمصالح الخاصة والأهداف المتعارضة لدول الخليج المختلفة وتركيا وروسيا والولايات المتحدة تأثير حاسم على تطور قوى المتمردين السوريين, والتي كانت تحاول بشكل محموم مواجهة رد فعل النظام المتصاعد. وكان للتدخل الأجنبي وانحراف المعارضة المسلحة نحو الطائفية تأثير تصعيدي متبادل.

سعت مجموعات الجيش السوري الحر على أرض الواقع للحصول, وبشكل متزايد, على الدعم والتمويل في مصادر أخرى, خاصة من ممالك الخليج, مما سيكون له عواقب وخيمة في تعزيز أسلمة الانتفاضة وجماعات المعارضة المسلحة. أما في حالة الولايات المتحدة وأوروبا, فهي كما وصفها عالم السياسة ستيفن هايدمان:

أدت المخاطر السياسية التي كان يُعتقد أنها ستكون مصاحبة لأي تعاون مباشر مع المعارضة المسلحة أو المشاركة في أي شكل من أشكال العمل العسكري , بما في ذلك إنشاء مناطق آمنة, إلى دفع الحكومات الغربية إلى التنازل عن القيادة والتأثير إلى المملكة العربية السعودية وقطر وتركيا فيما يخص توفير الدعم المادي والسياسي والعسكري للمعارضة - على الرغم من أنهم فعلوا ذلك بطرق تعاكس مباشرة المصالح الغربية في منع التطرف الطائفي والتفتت السياسي على الأرض.[39]

وبالتالي, تنافست وحدات الجيش السوري الحر مع بعضها البعض على الموارد التي كانوا جميعهم في حاجة ماسة إليها. وعانى التماسك التنظيمي بسبب هذه المنافسة وبسبب تنوع الممولين ذوي الأجندات مختلفة. ظهر الاقتتال بين جماعات المعارضة السورية المسلحة بشكل أكثر منهجية بحلول أبريل/ نيسان 2012.[40] ولقد ساهمت دول المنطقة (قطر والمملكة العربية السعودية وتركيا), على الرغم من نواياها الداعمة, في تجريد الجيش السوري الحر من الكثير من إمكاناته الحقيقية, وفقًا للمحلل تشارلز ليستر. فقد عملت هذه الدول بشكل مستقل وفي أغلب الأحيان من خلال قنوات مستقلة متعددة, معتمدين على صلات شخصية. ولم ينسق رعاة التمرد الثلاثة هؤلاء

[39] Heydemann, "Syria and the Future of Authoritarianism," Journal of Democracy 24, no. 4 (2013): 5.
[40] Joseph Halliday, "Syria's Maturing Insurgency," Middle East Security Report No. 5, Institute for the Study of War, June 21, 2012,
http://www.understandingwar.org/sites/default/files/Syrias_MaturingInsurgency_21June2012.pdf.

أبـدا دعمهـم للتمرد.[41] واسـتمر تهميش وتفتيت شـبكات الجيش السـوري الحـر طـوال الحـرب، حيث أصبحـت هـذه الشـبكات جيوشـاً بالإنابـة لـدول أجنبيـة وقعـوا تحـت سـيطرة القـوى الأصوليـة الإسـلامية والجهاديـة.

بحلـول منتصـف عـام 2015، كانـت معظـم مجموعـات المعارضـة المسـلحة غيـر الجهاديـة وغيـر السـلفية قـد تـم تهميشـها فـي المعركـة العسـكرية ضـد النظـام، أولاً بسـبب قمـع قـوات الأسـد وحلفائـه الأجانـب، روسـيا وإيـران، لهـم. وثانيًـا نتيجـة ضغـوط مـن الداعميـن الإقليمييـن لمجموعـات المعارضـة بتخفيـض حـدة حربهـم ضـد نظـام الأسـد والتركيـز علـى أعـداء آخريـن. فـي نهايـة المطـاف، تـم إضعـاف قـوات الجيـش السـوري الحـر التـي كانـت تتمتـع بالحكـم الذاتـي، فلقـد سـيطرت عليهـم القـوات السـلفية والجهاديـة مـن خـلال المعـارك البريـة والهجمـات الجويـة.

تقـدم قصـة المجلـس الوطنـي السـوري توضيحـاً مفيـدًا آخـر لهـذه التوجهـات. فقـد تأسـس المجلـس الوطنـي السـوري فـي اسـطنبول فـي أكتوبـر/ تشـرين أول 2011.[42] تـم تشـكيله مـن قبـل تحالـف مـن الجماعـات والأفـراد، بمـا فـي ذلـك الموقعـون علـى إعـلان دمشـق، والإخـوان المسـلمين، وفصائـل كرديـة مختلفـة، وممثليـن عـن لجـان التنسـيق المحليـة فـي سـوريا (وهـي منظمـة جامعـة ممثلـة للعديـد مـن اللجـان التـي شـكلت بالفعـل فـي البلاد).[43] وخـلال السـنوات الأولـى مـن تأسيسـه ، كان اعتمـاد المجلـس المتزايـد علـى الجهـات الأجنبيـة سـبباً فـي إدخاله فـي صعوبـات كبـرى، بسـبب اختـلاف مصالـح الـدول الراعيـة عـن مصالـح المجلـس نفسـه. نهايـة هـذه الانقسـامات ستكون شـقاقاً حول جـدوى الاسـتمرار فـي محاولـة الإطاحـة بالأسـد مـن عدمـه. لكـن الانقسـامات داخـل المجلـس كانـت موجـودة بالفعـل منـذ وقـت مبكـر.[44]

تمتـع المجلـس الوطنـي السـوري فـي البدايـة بدعـم هائـل مـن قطـر وتركيـا، اللتيـن قامتـا بتمويلـه واسـتضافته علـى التوالـي. كمـا رحبـت القـوى الغربيـة وغيرهـا مـن دول الخليـج بالتحالـف الجديـد. وأصبـح نقطـة المرجعيـة

[41] Charlie Lister, "The Free Syrian Army: A Decentralized Insurgent Brand," Analysis Paper No. 26, Brookings Project on U.S. Relations with the Islamic World, November 26, 2016, https://www.brookings.edu/wp-content/uploads/2016/11/iwr_20161123_free_syrian_army1.pdf; and Michael Young, "Syriana," Carnegie Middle East Center, April 7, 2017, http://carnegie-mec.org/diwan/68366?lang=en.

[42] كان اسمه في البداية «مؤتمر الإنقاذ الوطني السوري» خلال الاجتماع الأول في اسطنبول في يوليو/ تموز 2011.

[43] كان للجان التنسيق المحلية موقفا ملتبساً بالمجلس الوطني السوري بعد أن انضمت إلى هذا الكيان وفقاً لجوان يوسف، عوض مؤسس منسحب من لجان التنسيق، فقرار لجان التنسيق بالانضمام جاء بعد ضغوط من أول رئيس للمجلس الوطني السوري، برهان غليون، وبتأثير من حزب الشعب، أحد الأحزاب المؤسسة للمجلس. كانت قيادات لجان التنسيق المحلية تأمل في تعزيز شرعية المجلس الوطني السوري داخل البلاد دون التورط سياسياً في قرارته وسياساته (جوان يوسف، مقابلة مع المؤلف عبر سكايب، 28 يوليو 2018). إلا أن هذا الموقف لن يستمر.

[44] في نوفمبر 2017/ تشرين ثاني ، أعلن رئيس لجنة المفاوضات العليا للمعارضة السورية ، رياض فريد حجاب ، إلى جانب كبير المفاوضين محمد صبرا وثمانية أعضاء آخرين ، استقالتهم من اللجنة قبل مؤتمر الرياض. كان هدفهم هو توحيد المعارضة في مواجهة الضغوط الدولية التي كانت تحاول إجبار المعارضة على قبول بقاء بشار الأسد في السلطة ، وفقًا لسهير الأتاسي ، أحد الأعضاء الذين استقالوا. انظر "Resigned Syrian Opposition Figure: We Were Asked to Accept Assad or Leave," Middle East Monitor, November 22, 2017, https://www.middleeastmonitor.com/20171122-resigned-syrian-opposition-figure-we-were-asked-to-accept-assad-or-leave/.

الرئيسية للبلاد التي تدعم المعارضة. في أبريل/ نيسان 2012، اعترفت أكثر من 100 دولة في مجموعة «أصدقاء سوريا» بأن المجلس الوطني السوري هو «مظلة تنظيمية تنضوي تحتها أطياف المعارضة السورية».[45] هذا وقد تبنى المجلس الوطني. في البداية. موقفاً نقدياً تجاه بعض مجموعات المعارضة بالداخل السوري مثل هيئة التنسيق الوطنية لقوى التغيير الديمقراطي، لأن تلك المجموعات دعت إلى التفاوض والحوار مع النظام، ورفضت التدخلات الخارجية.

في نوفمبر/ تشرين ثاني 2012، تأسس الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية في استجابة للضغوط المتزايدة من الولايات المتحدة ودول غربية أخرى لتشكيل تحالف معارض سوري أكثر تنوعًا وإدماجاً من المجلس الوطني السوري. وكان الهدف الرئيسي هو إنشاء ائتلاف قادر على اكتساب اعتراف دولي أوسع ودعم مالي ومادي أكبر. كان هناك أمل في البداية أن يحقق الائتلاف الغرض الذي كان مؤيدوه من الدول الغربية يأملون في أن يحققه. انضم المجلس الوطني السوري إلى الائتلاف، وحصل المجلس الوطني السوري على أكثر من ثلث مناصب الهيئة السياسية البالغ عددها 63 منصباً. كما حصل حوالي ستة من أعضائه على مقاعد «كشخصيات وطنية مستقلة» أو ممثلين عن الأقليات. ضم هذا التحالف الجديد ممثلين من لجان التنسيق المحلية، وكان في البداية يحظى بدعم أقسام كبيرة من الجيش السوري الحر.[46] ومع ذلك ، فقد وسمت الانقسامات الداخلية، التي أججتها التدخلات والتأثيرات الأجنبية، مجموعتي المعارضة. كما اعترضت القطاعات الديمقراطية والتقدمية للمعارضة على هيمنة الإخوان المسلمين والجماعات والشخصيات الإسلامية المحافظة على كل من المجلس الوطني السوري والائتلاف. إلا أن هذه القطاعات الديمقراطية لم تتمكن من توفير بديل ديمقراطي شامل.[47]

هيمنت قطر وتركيا على المجلس الوطني السوري على مدار العامين الأولين من الانتفاضة. لكن بداية من مايو/ أيار 2013، تراجعت سيطرة قطر على الائتلاف الوطني لصالح المملكة العربية السعودية. وسيطر الإحباط على القوى الغربية نتيجة لشلل الائتلاف، بما في ذلك عجزه عن إنشاء روابط حقيقية مع مجموعات بالداخل السوري. في ذلك الشهر نفسه، وتحت ضغط من السعودية، وسع الائتلاف عضويته من 63 عضواً إلى 117، وكان الهدف المعلن هو ضم المزيد

[45] «ميثاق الجبهة الإسلامية السورية»، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، 4 فبراير شباط 2013/، https://carnegie-mec.org/syriaincrisis/?fa=50832

[46] «المجلس الوطني السوري»، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، 25 سبتمبر/ أيلول 2013، https://carnegie-mec.org/syriaincrisis/?fa=48399

[47] في بدايات عام 2012 ، حاولت 14 منظمة يسارية وديمقراطية تشكيل أئتلاف خاص بهم ، لكن محاولتهم فشلت في مواجهة قمع النظام. تم إنشاء التحالف للمشاركة في الثورة وتعزيزها من أجل الإطاحة بالنظام وبناء دولة مدنية وديمقراطية (أبي نجم ، «التنسيقات»). ولأن النظام قمع معظم أعضاء الأئتلاف بشدة مما جعل التنظيم مستحيلاً ، فقد اختفت المجموعة تدريجياً ، رغم أن بعض المنظمات كانت لا تزال تعمل في بعض المناطق طوال الانتفاضة.

من الأقليات. حتى جماعة الإخوان المسلمين، المدعومة بالأساس من قطر، لم ترغب في الظهور بمظهر المعارض للمملكة العربية السعودية، وسعت وقتها إلى إقامة علاقات جيدة مع الرياض.[48]

كانت هذه التأثيرات المتغيرة على المعارضة السورية مرتبطة بدورها بالتحولات الإقليمية. ففي يونيو/حزيران 2012 تنازل الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني عن منصبه كأمير لدولة قطر لولي عهده. وبعد ذلك بأسبوع، قام عبد الفتاح السيسي - المدعوم من السعودية- بالإطاحة بمحمد مرسي، رئيس مصر وقتها والمنتمي لجماعة الإخوان المسلمين المدعومة من قطر. وفي الوقت الذي كان يتقلص فيه نفوذ قطر، سارعت المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة والكويت لتهنئة الجيش المصري والتعهد بـ 12 مليار دولار لمصر.[49] خلال عام 2013، وتقارب الائتلاف الوطني من المملكة العربية السعودية، لكن ظلت قطر وتركيا عناصر مفتاحية مؤثرة داخل المعارضة.

خلال السنوات التالية، استمرت الانقسامات داخل المعارضة بل وتفاقمت بفعل تأثير القوى الأجنبية. وكان العداء بين المملكة العربية السعودية وقطر، المتحالفة مع تركيا، إشكالياً بشكل خاص. فقد منحت الجهات الإقليمية المؤثرة أولوية لمصالحها الخاصة على حساب تحسين تأثير المعارضة. فعلى سبيل المثال، وفي محاولة لتوحيد فصائل المعارضة المختلفة من أجل التفاوض مستقبلاً مع نظام الأسد، نظمت المملكة العربية السعودية مؤتمرا لتوحيد المعارضة في الرياض في ديسمبر/ كانون أول 2015، وجمع المؤتمر مجموعات معارضة مدنية ومسلحة وشخصيات عامة من أجل إصدار وثيقة مشتركة واختيار فريق للتفاوض حول الانتقال السياسي. وتمخض المؤتمر عن إنشاء الهيئة العليا للمفاوضات السورية المكونة من أربعة وثلاثين عضواً، والتي كان من المفترض بها أن تمثل المعارضة في المحادثات مع الحكومة. لكن الانفصال بين مطالب الهيئة العليا وقوة النظام على أرض الواقع جعلت من الهيئة كياناً غير ذي صفة على نحو متزايد. إذ لم يكن بإمكانها الادعاء بأنها تمثل أي أرقام حقيقية من المقاتلين في الحرب الفعلية - بدلاً من ذلك، أصبحت الهيئة تنظيماً أنشأته المملكة العربية السعودية بعناية. بحلول وقت محادثات السلام السورية لعام 2016 في الأستانة بكازاخستان، تحت رعاية إيران وروسيا وتركيا، لم تتم حتى دعوة الهيئة العليا للمفاوضات. ولم يكن هناك تمثيل سوى لبعض مجموعات المعارضة المسلحة فقط، بقيادة محمد علوش، قائد جيش الإسلام.

[48] Hassan Hassan, “Saudis Overtaking Qatar in Sponsoring Syrian Rebels,” National, May 15, 2013, https://www.thenational.ae/saudis-overtaking-qatar-in-sponsoring-syrian-rebels-1.471446; and Christopher Phillips, The Battle for Syria: International Rivalry in the New Middle East (New Haven, CT: Yale University Press, 2016), 122.
[49] Mohsin Khan and Richard Lebaron, “What Will the Gulf’s $12 Billion Buy in Egypt?,” MENASource blog, Atlantic Council, July 11, 2013, http://www.atlanticcouncil.org/blogs/menasource/what-will-the-gulfs-12-billion-buy-in-egypt.

مع استمرار الحرب، قلت قدرة المملكة العربية السعودية وقطر (وإلى حد ما اهتمامهما) في السعي لرحيل الأسد. وحافظت الرياض على تركيزها الأساسي في مجابهة تأثير إيران داخل سوريا.[50] كانت السعودية والإمارات مهتمتان أيضًا، إلى حد أقل، بمواجهة نفوذ تركيا، التي تعتبر حليفة وثيقة لقطر. وبحلول أوائل عام 2019، قادت الإمارات العربية المتحدة ودمشق تقارباً ومصالحة سياسيين بين بعض الحكومات الخليجية.

كان لتنافس الرياض والدوحة وتناقض رغبتهما في رحيل الأسد عواقب واضحة على إستراتيجية المعارضة السورية. فلقد كانت الانقسامات الداخلية وتأثير الجهات الأجنبية أهم العقبات التي تحول دون توحيد وتعزيز معارضة متماسكة ذات شعبية، ومع ذلك فشل المجلس الوطني السوري والائتلاف في تقديم برنامج سياسي قائم على الإدماج وقادر على جذب قطاعات كبيرة من السكان السوريين. في الوقت نفسه، دفعت عدم رغبة القوى الأجنبية في التدخل المباشر في سوريا للإطاحة بنظام الأسد تدريجياً بالمجلس الوطني السوري ثم الائتلاف الوطني للتحول إلى أو على الأقل إضفاء الشرعية على مختلف القوى الأصولية الإسلامية والجماعات الجهادية، ذلك أن تأثير تلك الجماعات. كان ينمو داخل البلاد.[51]

الانقسامات الداخلية وهيمنة الفاعلين المسلمين المحافظين

كان المجلس الوطني السوري غارقاً - منذ تأسيسه- في الانقسامات الداخلية، كما تعرض للانتقاد بسبب سيطرة مكون إسلامي كبير عليه، بما في ذلك جماعة الإخوان المسلمين. وبالفعل كانت جماعة الإخوان، ومع سيطرتها على ما يقرب من ربع مقاعد المجلس البالغ عددها 310 مقعدًا، في الحقيقة هي الفصيل الأكبر والأكثر تماسكًا داخل المجلس الوطني السوري، كما حظت الجماعة بدعم قطر وتركيا؛ وقدمت قطر للإخوان أيضاً مدخلاً لقناة الجزيرة.[52] وسرعان ما تمكنت الحركة الأصولية الإسلامية، من خلال استغلالها لتنظيماتها في المنفى، من لعب دور رئيسي في

[50] تم تأكيد هذا الموقف من خلال تعليقات محمد بن سلمان في مارس/ آذار 2018 والتي قال فيها ولي العهد أنه يدرك أن الأسد باقٍ، لكنه يأمل ألا يصبح دمية في يد طهران. W. J. Hennigan, "Saudi Crown Prince Says U.S. Troops Should Stay in Syria," Time, March 30, 2018, http://time.com/5222746/saudi-crown-prince-donald-trump-syria/.

[51] شجع النظام في البداية صعود الحركات الجهادية والأصولية الإسلامية ليضفي صبغة طائفية على الانتفاضة ويحول دعايته - التي تسم المتظاهرين بأنهم طائفيين ومتطرفين دينيين- إلى واقع. . في الوقت نفسه , ساعدت ممالك الخليج العربي وتركيا هذه المجموعات لأسباب سياسية خاصة بهم. وبشكل مساوٍ ساهمت انقسامات ومشكلات وضعف شبكات الجيش السوري الحر في توسع هذه المجموعات.

[52] «ميثاق الجبهة الإسلامية السورية»، مركز كارنيغي للشرق الأوسط. لقد سهلت الدوحة في الواقع وصول أعضاء جماعة الإخوان إلى قناتها الجزيرة. وسيطرت جماعة الإخوان أيضًا على اثنين من المكاتب المركزية للمجلس الوطني السوري - المكتب المسئول عن الشؤون العسكرية وذلك المسئول عن المساعدات الإنسانية - مما أمدهم بملايين الدولارات في شكل تبرعات ساهمت في تشكيل أو تقوية شبكات الدعم الخاصة بهم في سوريا. Elizabeth O'Bagy, "Syria's Political Opposition," Middle East Report No. 4, Institute for the Study of War, 2012, http://www.understandingwar.org/sites/default/files/Syrias_Political_Opposition.pdf; Phillips, The Battle for Syria, 110; and Youssef, interview with the author.

المجلس الوطني السوري.[53] في الوقت نفسه، اشتكى الأعضاء العلمانيون في المجلس من هيمنة الحركات الأصولية الإسلامية.[54] أصبحت هذه الانقسامات جلية بشكل أوضح في وقت مبكر، تقريباً بحلول 2012. وأصدرت لجان التنسيق المحلية، في مايو/ أيار من ذلك العام، بياناً تتهم فيه المجلس الوطني السوري بخيانة «روح ومطالب الثورة السورية» وتهميش ممثليها. أعلنت لجان التنسيق انسحابها الرسمي من المجلس في نوفمبر/ تشرين ثاني، متهمة المجموعة بأنها تحت سيطرة الإخوان وكذلك بالفشل في تضمين إصلاحات تحولها إلى هيكل تمثيلي حقيقي.[55]

وواجه الائتلاف انتقادات مماثلة من مجموعات الحراك بعد وقت قصير من تأسيسه، في ربيع وصيف عام 2013. وأصدرت الحركة الثورية في سوريا، وهي ائتلاف من مختلف اللجان المحلية داخل سوريا، بياناً حاسماً في مايو / أيار 2013، تقول فيه: «إن القوى الثورية التي وقعت على هذا البيان لم تمنح الشرعية لأي هيئة سياسية تخرب الثورة أو لا تأخذ بعين الاعتبار تضحيات الشعب السوري أو تمثيلها بشكل كاف. نعتبر هذا التصريح بمثابة تحذير أخير للائتلاف، فقد تحدث الشعب السوري».[56] وكرر الائتلاف نفس الأخطاء التي ارتكبها المجلس الوطني السوري في فشله في كسب الدعم بالداخل السوري، سواء من الناشطين المدنيين أو جماعات المعارضة المسلحة.

كما انتقد الفاعلون الديمقراطيون والتقدميون داخل الانتفاضة السورية الدور المهيمن للإخوان المسلمين والمجموعات المرتبطة بهم. في الوقت نفسه، وبعد وقت قصير من تأسيسه، أنشأ الائتلاف الوطني العديد من الكيانات في تركيا لمساعدة المجالس المحلية.[57] ومع ذلك، فقد تم تسييس جميع هذه الوحدات واستقطابها وفقًا للمصالح الشخصية والأجندات الحزبية، كما دعمهم رعاة إقليميين متنافسين، وخاصة قطر والمملكة

[53] Petra Becker, “Syrian Muslim Brotherhood Still a Crucial Actor,” SWP Comments 34 (October 2013): 2, https://www.swp-berlin.org/fileadmin/contents/products/comments/2013C34_bkp.pdf.

[54] أعلن رياض الترك ، وهو قيادي معارض شيوعي مخضرم، في سبتمبر/ أيلول 2018 أن إحدى المشكلات الأولية التي واجهها المجلس الوطني السوري عند تأسيسه كانت سيطرة جماعة الإخوان المسلمين والجماعات المرتبطة بهم على المجلس. انظر محمد علي الأتاسي، «في أول حديث له بعد خروجه متسللا من سوريا… رياض الترك: الخلل اليوم لم يعد بقاء «مجرم الحرب» بشار الأسد». القدس العربي، 2 سبتمبر/ أيلول 2018، https://www.alquds.co.uk/%ef%bb%bf%d9%81%d9%8a-%d8%a3%d9%88%d9%84-%d8%ad%d8%af%d9%8a%d8%ab-%d9%84%d9%87-%d8%a8%d8%b9%d8%af-%d8%ae%d8%b1%d9%88%d8%ac%d9%87-%d9%85%d8%aa%d8%b3%d9%84%d9%84%d8%a7-%d9%85%d9%86-%d8%b3%d9%88%d8%b1/

[55] «لجان التنسيق المحلية في سورية»، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، 20 ديسمبر/ كانون أول 2012، https://carnegie-mec.org/syriaincrisis/?fa=50432

[56] ضمت هذه الحركة الثورية: الهيئة العامة للثورة السورية، ولجان التنسيق المحلية، واتحاد تنسيقيات الثورة السورية، والمجلس الأعلى لقيادة الثورة السورية. Ferdinand Dürr, “Critizism [sic]: Syrian Exile Opposition Is Failing,” May 29, 2013, https://www.adoptrevolution.org/en/critizism-exile-opposition-is-failing/.
ترجمة عن الإنجليزية لتعذر الحصول على الاقتباس بالعربية.

[57] وتشمل هذه: وحدة تنسيق المساعدات ، التي كان هدفها تقديم المساعدات الإنسانية داخل سوريا (ديسمبر/ كانون أول 2012) ؛ وحدة مجلس الإدارة المحلية ، التي تهدف إلى المساعدة في توحيد المجالس المحلية في إطار موحد (مارس/ آذار 2013) ؛ ومع تشكيل الحكومة السورية المؤقتة (نوفمبر / تشرين ثاني2013) , أنشأت وزارة الإدارة المحلية واللاجئين والإغاثة الإنسانية إدارة عامة للمجالس المحلية (مارس/ آذار 2014).

العربيــة الســعودية. وبنــاء علــى ذلك، وخــلال ذروة التنافــس الإقليمــي فــي عامــي 2013 و 2014، تنافســت هــذه الكيانــات مــع بعضهــا البعــض فــي أغلــب الأحيــان لتأميــن وجودهــا وفــرض نفوذهــا علــى المجالــس المحليــة داخــل ســوريا مــن خــلال الدعــم المالــي.[58]

وتســمم الائتــلاف الوطنــي بســبب التنافســات والانشــقاقات الداخليــة المتزايــدة علــى مــر الســنين. علــى ســبيل المثــال، اســتقالت نائبــة رئيــس الائتــلاف ســميرة المســالمة فــي عــام 2017 بعــد أن انتقــدت فــي البدايــة التعتيــم حــول مصــادر تمويــل الائتــلاف، وتبيــن بعــد ذلــك أن الائتــلاف قــام بتحويلهــا للتحقيــق بســبب إدلائها بتصريحات ناقــدة لــه علــى شاشــة التلفزيون.[59] كمــا اســتقال الناشــط المعــارض المخضــرم فايــز ســارة فــي عــام 2017 ، قائــلاً إن الائتــلاف لــم يكــن لديــه القــدرة علــى إصــلاح نفســه، وانتقــد إخفاقــه فــي اتخــاذ موقــف مــن القــوات «الإســلامية» - مــن الدولــة الإســلامية إلــى جنــد الأقصــى وجبهــة النصــرة. - والتــي حســب مــا ذكر ، لعبــت «دور الشــيطان» فــي تنفيذ سياســات نظــام الأســد.[60]

نظرة أعمق على إخفاقات المعارضة

تحولــت الانتفاضة الســورية من حركــة ديمقراطية قائمــة علــى الإدمــاج، تضــم تيــارات علمانيــة ودينيــة إلــى حــرب أهليــة تتصاعــد فيهــا النعــرات الطائفيــة والعرقيــة. جعلــت الأحــوال الســائدة فــي ســوريا قبــل الانتفاضــة هــذا المصيــر احتمــالاً قائمــاً، ولكــن ليــس حتميــاً. وعنــى اســتهداف نظــام الأســد الدقيــق لقــادة المعارضــة الأكثــر ديمقراطيــة وادماجــاً خــلال المراحــل المبكــرة مــن الانتفاضــة، أن الجماعــات الأقــل ميــلاً إلــى الديمقراطيــة هــي التــي تمكنــت مــن البقــاء. كمــا كان تزويــد القــوى الأجنبيــة لفصائــل المعارضــة المتبقيــة بالجنــود والمــوارد بمثابــة ضمانــة أن هــذه الفصائــل ســتتبنى فــي النهايــة الخيــارات الأكثــر إثــارة للانقســام فــي الانتفاضــة. ومــع ذلــك، فــإن التحليــل ســيكون غيــر مكتمــل - كمــا هــو الحــال فــي دراســات الحــرب حتــى الآن- دون الاعتــراف بــأن إخفاقــات المعارضــة الســورية نشــأت أيضًــا عــن أوجــه قصورهــا الذاتيــة وأخطائهــا الطوعيــة. إن تجاهــل مشــاكل المعارضــة تلــك مــن شــأنه أن يخاطــر بدفعنــا نحــو ســرد تاريــخ مجمــل للحــرب الأهليــة الســورية - وبالتالــي، فمــن المهــم مناقشــة العديــد مــن الموضوعــات الخاصــة بأوجــه قصــور المعارضــة.

[58] Agnès Favier, “Local Governance Dynamics in Opposition-Controlled Areas in Syria,” in Inside Wars: Local Dynamics of Conflicts in Syria and Libya, ed. Luigi Narbone, Agnès Favier, and Virginie Colombier (San Domenico di Fiesole, Italy: European University Institute, 2016), http://cadmus.eui.eu/bitstream/handle/1814/41644/Inside%20wars_2016.pdf.
[59] Zaman al-Wasl, “Coalition Investigating Samira Masalmeh for Televised Comments,” Syrian Observer, January 5, 2017, http://syrianobserver.com/EN/News/32168/Coalition_Investigating_Samira_Masalmeh_Televised_Comments.
[60] Madar al-Youm, “Coalition Loses Fayez Sara for Being Stiff-Necked on Reform,” Syrian Observer, January 19, 2017, http://syrianobserver.com/EN/News/32227/Coalition_Loses_Fayez_Sara_For_Being_Stiff_Necked_Reform/.

أي نوع من الدولة والمجتمع؟

صرح كل من المجلس الوطني السوري والائتلاف الوطني عن رغبتهما في بناء سوريا للجميع من خلال إقامة دولة مدنية قائمة على المواطنة ودون تمييز على أساس الطائفة أو الجنس. إلا أن، خطاب وممارسات هيئات المعارضة هذه أتى متناقضاً مع تلك التصريحات. تجنبت المجموعتان طرح أفكارهم التفصيلية حول قضايا مختلفة، بما في ذلك مكان الشريعة أو قوانين الأحوال الشخصية في الدولة المستقبلية، وحقوق النساء، والقضية الكردية.

ولم تقدم هذه المجموعات أي أوصاف ملموسة لمواقفها بشأن ماهية الدولة المدنية والمواطنة. وساوى بعض الأفراد في المجلس الوطني السوري والائتلاف الوطني بين الدولة المدنية والعلمانية، لكن الحركات الأصولية الإسلامية رفضت العلمانية رفضاً باتاً.[61] فيما سعت جماعة الإخوان المسلمين على سبيل المثال، إلى «دولة مدنية» كخطوة أولى فقط نحو الدولة الإسلامية أو دولة قائمة على الشريعة. لقد تحدث الإخوان بشكل عام عن «دولة مدنية ذات مرجعية إسلامية».[62] نصت وثيقة الإخوان لعام 2004 ، «المشروع السياسي لمستقبل سوريا»، على أن تسعى المجموعة إلى «أسلمة القوانين تدريجيا، لاعتقادنا أنّ الشريعة المنزلة من عند الله رحمة للعالمين أرفق وأحكم وأرعى لمصلحة الناس أجمعين» تظل عواقب نص كهذا على الأقليات الدينية غامضة: فالنص يقول أن جماعة الإخوان المسلمين تعتبرهم مواطنين متساوين، لكنها تقول أيضًا أن الإسلام يجب أن يكون أساس الدولة والهوية السورية.[63] وظهرت هذه المواقف في مختلف هيئات المعارضة التي شاركت فيها جماعة الإخوان.[64]

[61] في عام 2011 , قال زهير سالم , وهو زعيم سابق لجماعة الإخوان المسلمين وما زال قريبًا من الحركة , إن فصل الدولة عن الدين يعني «حرمان الدولة من أخلاقها». Naomi Ramirez Diaz, “Unblurring Ambiguities,” in The Syrian Uprising: Domestic Origins and Early Trajectory, ed. Raymond Hinnebusch and Omar Imady (London: Routledge, 2018), 210.

[62] على سبيل المثال , أعلن النائب السابق للمرشد الأعلى لجماعة الإخوان المسلمين المصرية , خيرت الشاطر , في مارس/ آذار 2011 عقب الإطاحة بالرئيس المصري حسني مبارك: «تعمل جماعة الإخوان المسلمين على استعادة الإسلام بمفهومه الشامل لحياة الناس , وهم يعتقدون أن هذا لن يتحقق إلا من خلال مجتمع قوي. وهكذا , فإن المهمة واضحة: استعادة الإسلام بمفهومه الشامل ؛ إخضاع الناس لله. وضع دين الله ؛ أسلمة الحياة , وتمكين دين الله ؛ تأسيس نهضة الأمة على أساس الإسلام. . . . وهكذا , تعلمنا أن نبدأ ببناء الفرد المسلم , والأسرة المسلمة , والمجتمع الإسلامي , والحكومة الإسلامية , والدولة الإسلامية العالمية ». انظر فيديو الخطاب على يوتيوب: « مشروع النهضة الإسلامي......خيرت الشاطر»، فيديو يوتيوب: 1:32:03, «24 "amlalommahtv أبريل/ نيسان 2011. https://www.youtube.com/watch?v=JnSshs2qzrM.

[63] «المشروع السياسي لسورية المستقبل»، إخوان ويكي، تم الولوج إلى الرابط في 2 فبراير/ شباط 2019 https://www.ikhwanwiki.com/index.php?title=المشروع_السياسي_لسورية_المستقبل.

[64] كان عدم وجود إدماج حقيقي داخل الأئتلاف الوطني ومعارضة المنفى ملحوظاً على سبيل المثال في المبادىء العامة الخاصة بالإطار التنفيذي للحل السياسي الذي قدمته اللجنة العليا للمفاوضات في أيلول / سبتمبر 2016 بجنيف , والتي أدرجت فيها الثقافة الإسلامية العربية حصراً كمصدر «للإنتاج الفكري و العلاقات الاجتماعية بين جميع السوريين.» انظر «الإطار التنفيذي للحل السياسي بسورية». الأئتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية، http://www.etilaf.org/وثائق-الائتلاف/الإطار-التنفيذي-للحل-السياسي-في-سورية. وشجبت مجموعات عديدة داخل الهيئة العليا للمفاوضات، ولا سيما المجموعات الكردية والآشورية، هذه الوثيق لعدم إدماجها تنوع السكان في سوريا.

الطائفية

ادعى كل من المجلس الوطني السوري والائتلاف الوطني أنهما كانا يناضلان ضد الطائفية, إلا أن بعض الأعضاء داخل الهيئتين تصرفوا بطرق تناقض هذه الادعاءات. كما ساهم ضم بعض الأصوليين الإسلاميين والتطبيع مع أو الدفاع عن الحركات الجهادية في إيقاظ الديناميات الطائفية بعد الفصل الافتتاحي للانتفاضة. لا يمكننا النظر إلى التأثيرات الأجنبية وممارسات القمع الانتقائي للحكومة السورية باعتبارها التفسيرات الوحيدة لهذه المشكلة: على الرغم من وجود رسالة جامعة وقائمة على الإدماج خلال أيام الانتفاضة الأولى, فإن العديد من المشاركين في هذه الانتفاضة تبنوا وجهات نظر طائفية وإقصائية دينياً, وكانت هذه الآراء ظاهرة منذ البداية.

فعلى سبيل المثال, دعا عضو الائتلاف أنس عيروط وهو رجل دين سلفي كان أيضًا قياديًا في جبهة تحرير سورية الإسلامية , في يوليو / تموز 2013, مقاتلي المعارضة إلى استهداف القرى العلوية في المناطق الساحلية.[65] كما أيد صالح المبارك, عضو المجلس الوطني السوري, مهاجمة هذه المنطقة (ريف اللاذقية), مؤكدًا أن «المعركة قد يتم نقلها إلى قلب أراضي العائلة الحاكمة, ويجب إشعار العلويين بأنهم لن يكونوا آمنين إذا كان باقي الناس غير آمنين».[66] وبالمثل, فقد أدلى أعضاء جماعة الإخوان المسلمين بعدة تعليقات وتصريحات طائفية ضد الشيعة والعلويين, وفي الوقت الذي اعتبروا الجماعة الجهادية جبهة النصرة قوة ثورية و»أخوة في الإيمان/ السلاح».[67]

كما قدمت بعض وسائل الإعلام المؤيدة للانتفاضة سرديات طائفية. فمثلاً عرض تلفزيون أورينت, الذي يملكه رجل الأعمال السوري في المنفى غسان عبود (المعروف بمشاعره الطائفية), صور عشرات الضحايا من مذبحة الدولة الإسلامية في مايو / أيار 2015 في بلدة المبعوجة ذات السكان المختلطين على أنهم أعضاء في قوات الأمن التابعة للنظام. كان معظم الضحايا, في الواقع, من المدنيين السنة والإسماعيليين والعلويين, بمن فيهم الأطفال.[68] أثار هذا العرض للأحداث جدلا هاما.[69]

[65] Khaled Yacoub Oweis, "Syrian Rebel Sheikh Calls for War on Assad's Alawite Heartland," Reuters, July 10, 2013, https://www.reuters.com/article/us-syria-crisis-coast/syrian-rebel-sheikh-calls-for-war-on-assads-alawite-heartland-idUSBRE9690PU20130710.
[66] Haythem Mouzahem, "Syrian Opposition Condemns Jihadists Targeting Alawites," Al-Monitor, August 14, 2013, https://www.al-monitor.com/pulse/originals/2013/08/syria-opposition-alawite-massacres-sectarianism.html.
[67] Diaz, "Unblurring Ambiguities," 216.
[68] يهاجم العبود في أحد منشوراته على فيسبوك العلويين وغيرهم من الأقليات الدينية, انظر المنشور على صفحة غسان عبود, 27 إبريل 2015, https://www.facebook.com/photo.php?fbid=10155442871320591&set=p.10155442871320591&type=1&theater
[69] «تنظيم داعش يعدم ثلاثين شخصاً حرقاً وذبحاً في هجوم على قرية بريف مدينة السلمية (أسماء الضحايا)», عكس السير. 31 مارس/ آذار 2015 https://www.aksalser.com/news/2015/03/31/تنظيم-داعش-يعدم-ثلاثين-شخصاً-في-هجوم-ع/
"Isis Reportedly Massacres Dozens in Syrian Village," CBS News, March 31, 2015, https://www.cbsnews.com/news/isis-kills-40-mabuja-village-central-syria-including-women-children/

بـرّر الرئيـس السـابق للائتـلاف الوطنـي معـاذ الخطيـب، فـي مـارس/ آذار 2013، تدفـق الجهاديين إلـى سـوريا علـى أنـه كفـة تـوازن لوجـود خبـراء عسـكريين روس وإيرانيين ومقاتلـي حـزب الله، وأشـار إلـى الجهاديين بوصفهـم إخـوة وضيـوف كـرام.[70] فيمـا وصف رئيـس المجلـس الوطنـي السـوري جـورج صبـرا جبهـة النصـرة، فـي وقـت لاحـق خـلال عـام 2015، بأنهـا «جـزء مـن الحركـة الثوريـة». وقـد أدلـى صبـرا، وهـو عضـو فـي حـزب الشـعب الليبرالـي (المكتـب السياسـي السـابق للحـزب الشـيوعي بقيـادة ريـاض التـرك) بهـذا التصريـح ردًا علـى إدراج الولايـات المتحـدة للجماعـة الجهاديـة كمنظمـة إرهابية.[71] وبالمثـل، دحـض ميشـيل كيلـو، الـذي انضـم إلـى الائتـلاف الوطنـي فـي عـام 2013، جميـع الاتهامـات الموجهـة ضـد جبهـة النصـرة والتـي وسـمتها بأنها تنظيمـاً أصولياً.[72] كمـا رفـض أي مقارنة بين الدولـة الإسـلامية وجبهـة النصـرة، بحجـة أن جبهة النصـرة كانت حركـة تؤيد «نظامًا إسـلاميًا انتخابيًا» وتريـد الوصـول إلـى دولـة إسـلامية عـن طريـق توافـق وطنـي، بينمـا تسـعى الدولـة الإسـلامية لتنفيـذ ذلـك مـن خـلال الاسـتبداد.[73]

كمـا تـم دمـج جيـش الإسـلام، وهـو منظمـة سـلفية، فـي بعـض الهيئـات الرسـمية للمعارضـة فـي الخـارج، بينمـا شـاركت أحـرار الشـام فـي بعـض اللقـاءات والمناقشـات لكنها لـم تنضـم إليهـا. هاتـان المنظمتـان متورطتـان فـي انتهـاكات عديـدة لحقـوق الإنسـان. لكـن الائتـلاف لـم يقـم بإدانـة هـذه الممارسـات أو حتـى بالمطالبـة بالإفـراج عـن الناشـطين الذيـن اختطفتهـم الجماعـات المسـلحة.[74] بـل كانـت هـذه المجموعـات منخرطـة بشـكل مباشـر فـي أنشـطة الائتـلاف. فـكان محمـد علـوش، القائـد السياسـي لجيـش الإسـلام، هـو كبيـر مفاوضـي لجنـة المفاوضـات العليـا فـي محادثـات السـلام بيـن المعارضـة ونظـام الأسـد فـي جنيـف سـنة 2016. ومـن ثـم كانـت الخطابـات والممارسـات الطائفيـة شـائعة بيـن هيئـات المعارضـة،

[70] «كلمة رئيس الائتلاف الشيخ معاذ في القمة العربية»، فيديو يوتيوب، 15:39، الائتلاف الوطني لقوى الثورة والعارضة السورية، 26 مارس / آذار 2013، https://www.youtube.com/watch?v=zN0t0RrG2CI

[71] Abdallah Suleiman Ali, "Noose Tightens around Jabhat al-Nusra," Al-Monitor, March 15, 2015, https://www.al-monitor.com/pulse/fr/security/2015/03/syria-clamp-down-jabhat-al-nusra.html#ixzz4Rg262100

[72] «ميشيل كيلو: قابلت جبهة النصرة واستقبلت كالأبطال»، فيديو يوتيوب، 1:44، "13 ,"syrian4all فبراير / شباط 2013.

[73] «كيلو: لا تقارنوا جبهة النصرة بداعش»، النهار، 2، 9 يناير / كانون ثاني 2014، https://www.annahar.com/article/97968-كيلو-لا-تقارنوا-جبهة-النصرة-.

[74] هناك العديد من الأمثلة على المواقف المتطرفة التي اتخذها جيش الإسلام وأحرار الشام. من بينها ما قاله زهران علوش ، في يوليو/ تموز 2013 ، القائد العسكري للجبهة الإسلامية وزعيم جيش الإسلام في ذلك الوقت: «سوف يغسل مجاهدو الشام قذارة الرافضة من الشام وسيغسلونها إلى الأبد» ويعني «مصطلح» الرافضة « الرافضين ، أو» أولئك الذين يرفضون ». وتستخدم هذه الكلمة بطريقة مهينة من قبل بعض المسلمين السنة ، الذين يشيرون إلى الشيعة على هذا النحو لأن الأخيرين لا يعترفون بأبي بكر وعمر وعثمان كخلفاء شرعيين لمحمد ، ويؤمنون أن علي أن يكون أول خليفة له. See Aaron Y. Zeilin, and Phillip Smyth, "The Vocabulary of Sectarianism," Syria Deeply, January 31, 2014, https://www.newsdeeply.com/syria/community/2014/01/31/the-vocabulary-of-sectarianism

عبرت أحرار الشام عن أفكار مماثلة. وقال حسان عبود ، زعيم أحرار الشام ، في مقابلة «ما يحدث في سوريا هو أن البلاد تحكمها فكرة نصيرية ، وهي جماعة شيعية وصلت إلى السلطة وبدأت التمييز ضد الشعب السني». لقد منعوهم من ممارسة دينهم ورسموا صورة عن الإسلام بعيدة عن الإسلام ، مع تقاليد وممارسات غير إسلامية على الإطلاق. لقد أرادوا محو الإسلام الحقيقي من البلاد ». انظر «لقاء مع قائد حركة أحرار الشام الإسلامية حسان عبود- على قناة الجزيرة 8-6-2013.» منشور على يوتيوب بتاريخ 8 يونيو/ حزيران 2013 https://www.youtube.com/watch?v=fL5dzLlmORI

وبعيدة كل البعد عن كونها حوادث منعزلة أو مسئولية أفراد.

ضعف إدماج النساء وحقوقهن

شهدت أول سنتين من الانتفاضة، كما أشرنا أعلاه، مشاركة هامة من النساء. اتسعت وتنوعت فيها الأنشطة النسائية. فكانت بعض المنظمات واللجان النسائية تنسق بشكل شبه يومي مظاهرات للنساء فقط، كما نظمت النساء أنفسهن في خلايا شعبية لتقديم المساعدة والإغاثة لأسر المعتقلين، الذين قتلوا في المنطقة، أو لجنود الجيش السوري الحر. لكن على الرغم من هذه الإسهامات المبكرة، لم تتقبل هيئات المعارضة أبداً أهمية مشاركة النساء في الحركة الشعبية. كانت أنشطة النساء أكثر صعوبة. في بعض المناطق، لأسباب أمنية. لكن هذه الأنشطة أعيقت أيضًا بفعل الأعراف الدينية المحافظة. على سبيل المثال، تم فرض حماية إلزامية من الذكور على النساء الثوريات، إلى جانب ذلك، كان يتم فصل النساء عن الرجال في بعض المظاهرات أو منعهن من المشاركة بشكل مباشر. وكانت الأنشطة داخل الحراك يتم تخصيصها -مرارا وتكرارا- وفقًا للنوع الاجتماعي، وغالباً ما افتقرت لجان التنسيق المحلية وعمليات صنع القرار داخلها إلى التمثيل النسائي.[75] وتضاءلت مشاركة النساء في النهاية تحت وطأة القمع العنيف للنظام، والعسكرة المتزايدة للانتفاضة، وصعود القوى الإسلامية الأصولية والجهادية.

وبرزت شكاوى، على نحو متزايد، بشأن ضعف أو غياب مشاركة النساء في هيئات المعارضة داخل سوريا.[76] وتم حصر النساء غالباً في إطار التمثيل الرمزي دون أي مسؤوليات حقيقية داخل المجلس الوطني السوري والائتلاف الوطني واللجنة العليا للمفاوضات. فمن بين 444 عضوًا في المجلس الوطني السوري، كان 24 منهم فقط نساء، وبعد ذلك، ضم الائتلاف الوطني ثلاث نساء فقط في عضويته.[77] بينما اقتصرت مشاركة الإناث في اللجنة العليا للمفاوضات وقت إنشائها على اثنين فقط من الأعضاء الثلاثة والثلاثين. وغالبًا ما وصفت الناشطات معظم مجموعات المعارضة بأنها غير جديرة بالثقة وتمييزية ونخبوية - مثلها مثل نظام الأسد. وأكدت الناشطات أنه تم منح «مناصب ديكورية» فقط للنساء بلا أي دور فعال في عمليات صنع القرار.[78]

[75] Lama Kannout, In the Core or on the Margin: Syrian Women's Political Participation (London and Stockholm: Syrian Feminist Lobby and Euromed Feminist Initiative EFI-IFE, 2016), 37.

[76] هذا لا يعني أن النساء في الانتفاضة لم يواجهن صعوبات في التمثيل في لجان التنسيق ، وفي المجالس المحلية ، وفي أماكن أخرى. فهناك أيضًا ، واجهن أحيانًا ممارسات وخطابات تمييزية.

[77] Omar Hossino and Kinda Kanbar, "Syria's Women: Sidelined in Opposition Politics?," Syria Deeply, April 11, 2013, https://www.newsdeeply.com/syria/articles/2013/04/11/syrias-women-sidelined-in-opposition-politics.

[78] Razan Ghazzawi, Afra Mohammad, and Oula Ramadan, "Peacebuilding Defines Our Future Now: A Study of Women's Peace Activism in Syria," Badael, October 2015, http://badael.org/wp-content/uploads/2015/10/Syria_october22.pdf, 19.

وانعكست هيمنة الإخوان المسلمين وغيرها من القوى المحافظة على نهج المعارضة تجاه قضايا حقوق النساء. على سبيل المثال، نصت وثيقة العهد الوطني للمقاومة السورية، التي أقرت خلال مؤتمر المعارضة السورية الذي انعقد في القاهرة في يوليو/ تموز 2012 تحت رعاية جامعة الدول العربية على أن «يضمن الدستور إزالة كل أشكال التمييز ضد المرأة، ويسعى لخلق المناخ التشريعي والقانوني الذي يؤمن تمكينها سياسيا واقتصاديا واجتماعيا في ما يتفق مع كل المواثيق الدولية ذات الصلة بما يتناغم مع الثقافة المجتمعية».[79] أضيفت الجملة الأخيرة ,بما يتناغم مع الثقافة المجتمعية، في استجابة لمطلب الجماعات والأفراد الإسلاميين المحافظين. وشجبت النسويات هذه العبارة على نطاق واسع باعتبارها وسيلة لإعاقة حقوقهن. انتقدت العديد من الناشطات النسويات، بشكل أكثر عمومية، حقيقة أن الأفراد في المجلس الوطني السوري، والائتلاف الوطني، واللجنة العليا للمفاوضات استسلموا لضغوط الأصوليين الإسلاميين.[80] أوضحت الناشطة النسوية لمى قنوت أنه ومنذ بداية الانتفاضة، في مختلف التحالفات والمؤتمرات السياسية للمعارضة «سيستسلم العلمانيون حتماً للإسلاميين ، مضحين بحقوق النساء خلال هذه العملية».[81]

القضية الكردية

عاودت المشاكل التاريخية للأكراد السوريين الظهور مع الانتفاضة الشعبية.[82] إذ رفضت المعارضة العربية السورية مطالب المعارضة الكردية، سواء تلك الخاصة بالمجلس الوطني الكردي أو بحزب الوحدة الديمقراطي الكردي (المعروف اختصارا باسم يكيتي). وانسحب الممثلون الأكراد، في يوليو/ تموز 2011 ، من اجتماع اسطنبول - الذي سيُنشئ بعد بضعة أشهر المجلس الوطني السوري - احتجاجًا على رفض الوفود الأخرى طلبهم بتغيير اسم الدولة من الجمهورية العربية السورية إلى «الجمهورية السورية».[83]

كانت العلاقات بين المجلس الوطني السوري والمجلس الوطني الكردي مضطربة منذ البداية. فقد رفض الرئيس السابق للمجلس الوطني السوري برهان غليون الطلب الرئيسي للمجلس الوطني الكردي باعتماد الفيدرالية

[79] «نص وثيقة العهد الوطني للمقاومة السورية»، الشرق الأوسط، 5 يوليو/ تموز، 2012،
http://archive.aawsat.com/details.asp?section=4&issueno=12273&article=684969#.W5KIfyOEjGJ
[80] ماريا العبدة (عضوة سابقة في الحركة الاحتجاجية السلمية ومديرة حاليًا منظمة النساء الآن للتنمية) , مقابلة مع المؤلف عبر سكايب , 29 يونيو/ حزيران , 2018. وأيضًا , صباح الحلاق (عضو مجلس إدارة رابطة النساء السوريات) , مقابلة مع المؤلف , بيروت , 15 حزيران (يونيو) 2018.
[81] Kannout, In the Core or on the Margin, 59.
[82] على الرغم من أن إعلان دمشق في عام 2005 أقر صراحة بالقضية الكردية , فإن ا الأحزاب الكردية الأربعة الموقعة عليه لم تكن راضية عن الطريقة التي حصرت بها الغالبية العظمى من الأحزاب السياسية السورية وجمعيات حقوق الإنسان المسألة الكردية في قضايا التعداد السكاني عام 1962 و وحرمان بعض الأكراد من المواطنة. فتلك الأحزاب الأخرى لم تكن مستعدة للاعتراف بالأكراد كأمة منفصلة أو على استعداد للاستماع إلى مطالب الفيدرالية واللامركزية.
[83] Sirwan Kajjo and Christian Sinclair, “The Evolution of Kurdish Politics in Syria,” Middle East Research and Information Project, August 31, 2011, http://www.merip.org/mero/mero083111#_3_.

في سوريا ما بعد الأسد، معتبراً أنه «وهم» كما أثار غليون حنق الأكراد السوريين عندما قارنهم بـ «المهاجرين في فرنسا»، في إيعاز أنهم ليسوا من سكان سوريا الأصليين - وهي طريقة تقليدية للاستخفاف بمطالبات الأكراد بحقوقهم في البلاد.[84] حاول النشطاء الأكراد دون جدوى مقاومة التجاهل المستمر لحقوق الأكراد.[85] وزادت هذه التوترات إلى حد كبير بعد نشر المجلس الوطني السوري «الميثاق الوطني: المسألة الكردية في سورية» في أبريل/ نيسان 2012. ألغت الوثيقة لغة مسودة سابقة تعترف بأمة كردية داخل سوريا. رداً على ذلك، انسحب المجلس الوطني الكردي من محادثات الوحدة مع المجلس الوطني السوري. كما اتهم المجلس تركيا بالتأثير المفرط على سياسة المجلس الوطني السوري.[86] تظاهرت مجموعات وأحزاب الشباب الكردي داخل سوريا ضد المجلس الوطني السوري ولصالح الحقوق الكردية.[87]

انضم المجلس الوطني الكردي بعد ذلك إلى الائتلاف الوطني في عام 2013، على أمل تحسن الأوضاع. لكن كل من المجلس الوطني السوري الائتلاف الوطني واصلا العمل بشكل معارض للأحزاب والمصالح الكردية. وتم ضم المجلس الوطني الكردي لاحقاً إلى الهيئة العليا للمفاوضات، ولكن هذا لم يمنع استمرار الحرمان من الحقوق الكردية أو التعليقات الشوفينية المستمرة من أعضاء الائتلاف.[88] على سبيل المثال ، في مارس / آذار 2016 ، قال العميد السابق أسعد الزعبي، رئيس وفد المعارضة باللجنة العليا للمفاوضات في جنيف، في إذاعة تلفزيون أورينت إن «الأكراد يمثلون 1 في المائة من الشعب السوري، وأن الكردي كان يتمنى في عهد الرئيس حافظ الأسد الحصول على ورقة تثبت أنه بني آدم،».[89] ورداً على هذه التعليقات، التي اعتبرها الكثير من الأكراد عنصرية، نظمت مظاهرات في مختلف المدن ذات الأغلبية الكردية.[90] في الوقت نفسه واصل المجلس الوطني السوري والائتلاف الوطني تبني موقف حاد ضد حزب الوحدة الديمقراطي الكردي، الذي اعتبروه عدوًا للثورة.[91]

[84] Tamam Abdallah, Tarek Al-Abd Hayy, and Ernest Khoury, “Stuck in the Middle: The Struggle for Syria’s Kurds,” Al-Akhbar English, July 30, 2012, https://www.shiachat.com/forum/topic/235000214-kurds-and-the-syrian-revolution/.
[85] Harriet Allsopp, The Kurds of Syria (London: I. B. Tauris, 2015).
[86] المركز الوطني الكردي بسورية، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، 5 فبراير/ شباط 2012، https://carnegie-mec.org/syriaincrisis/?fa=48504
[87] Allsopp, The Kurds of Syria.
[88] من هو المجلس الوطني الكردي،تم الولوج على الزابط في 2 فبراير/ شباط 2011 http://knc-geneva.org/?page_id=49&lang=ar
[89] «وقفة احتجاجية في عامودا بريف الحسكة للتنديد بتصريحات «الزعبي» و»الجعفري» وكالة سمارت للأنباء، 28 مارس آذار، 2016، https://smartnews-agency.com/ar/media/167515/وقفة-احتجاجية-في-عامودا-بريف-الحسكة-للتنديد-بتصريحات-الزعبي-و.
[90] وكالة أنباء سمارت، وقفة احتجاجية في عامودا.
[91] على سبيل المثال ، قال جورج صبرا ، رئيس المركز الوطني السوري ، في يناير/ كانون ثاني 2016 ، إن حزب الاتحاد الديمقراطي لم يكن جزءًا من المعارضة وكان قريبًا جدًا سياسياً من النظام. كما صرح بأن الحزب جزء من حزب العمال الكردستاني ، الذي تصنفته الولايات المتحدة وتركيا على أنه منظمة إرهابية ؛ وهو بالتالي يدعم موقف تركيا من الحزب.”George Sabra: A Unity Government Is Unacceptable,” Al Jazeera English, January 26, 2016, https://www.youtube.com/watch?v=h9fIH8Pq-Q4&feature=youtu.be (the linked video is not available in all regions).

في خريف عام 2016، تسبب مشروع المرحلة الانتقالية في سورية والذي نشرته الهيئة العليا للمفاوضات في استفزاز الغالبية العظمى من الحركات السياسية الكردية السورية، وصرح المجلس الوطني الكردي

«أن هذه الوثيقة لا يمكن أن تكون جزءاً من الحل وإنما تُشكل خطراً على الديمقراطية والتعددية ووحدة سوريا والتي يجب أن تضمن الحقوق الثقافية والمجتمعية والسياسية لجميع المكونات الإثنية والدينية واللغوية. من يقرأ الوثيقة سيُلاحظ فوراً أن النقطة رقم (1) من «المبادئ العامة» تجعل فقط من الثقافة العربية والإسلام معيناً خصباً «للإنتاج الفكري والعلاقات الاجتماعية». هذا التعريف يُغلق الباب بشكل واضح أمام بقية الثقافات سواء كانت عرقية، لغوية أو دينية ويُثبت ثقافة الأكثرية كمقياس للجميع. نحن ككُرد سوريين نشعر أننا مرفوضون عبر هذا الفهم الضيق لمصطلح "الشعب السوري". التشابه بين هذا التعريف وبين المبادئ الأساسية الشوفينية تحت حكم الأسد واضحة ولا يمكن نكرانه.»[92]

ودارت حلقة جديدة من المواجهة في مارس/آذار 2017 خلال جولة أخرى من مفاوضات السلام في جنيف، عندما رفض ممثلو هيئة التنسيق الوطنية للتغيير الديمقراطي وعدد قليل من الأعضاء الآخرين في الهيئة العليا للمفاوضات نقل وثيقة كتبها المجلس الوطني الكردي لمبعوث للأمم المتحدة الخاص بالأزمة السورية، ستافان دي ميستورا. أكدت الوثيقة تمثيل الأكراد في عملية المفاوضات وطالبت بإدراج المسألة الكردية والمسائل المتعلقة بقطاعات أخرى من سكان سوريا في جدول أعمال المفاوضات. وكرد فعل على هذا الرفض، علق المجلس الوطني الكردي مشاركته في المفاوضات وفي اجتماعات الهيئة العليا.[93]

كان لهيئة التنسيق الوطنية للتغيير الديمقراطي والتي كانت تمنح أولوية للعمل السلمي وإصلاح النظام من خلال المفاوضات، موقفاً أفضل قليلاً فيما يتعلق بالقضية الكردية. يتصور موقفها الأصلي «حلاً ديمقراطياً للقضية الكردية في إطار وحدة الأراضي السورية لا يتعارض مع كون سورية جزءاً لا يتجزأ من العالم العربي». وفي فبراير/شباط 2012، انسحبت الأحزاب الكردية التي كانت منضوية تحت راية هيئة التنسيق الوطنية للتغيير الديمقراطي، (باستثناء حزب الوحدة الديمقراطي الكردي)، وانضمّت إلى المجلس الوطني الكردي. وفي أبريل/نيسان ليّنت هيئة التنسيق الوطنية للتغيير الديمقراطي موقفها، وأيّدت تطبيق «مبادئ

[92] بيان «وثيقة الإطار التنفيذي لن تجلب لا السلام ولا المساواة»، المركز الوطني الكردي، 20 سبتمبر/ أيلول، 2016 http://knc-geneva.org/?p=710&lang=ar المجموعات المعارضة للهيئة العليا للمفاوضات ضمت كل من حزب الاتحاد الديمقراطي الكردي والمجلس الوطني الكردي وبعض المجموعات الآشورية.
[93] «تصريح صحفي: المجلس الوطني الكردي في سوريا يعلق مشاركته في جولة المفاوضات في جنيف»، المركز الوطني الكردي، 31 مارس/ آذار 2017 http://knc-geneva.org/?p=1310&lang=ar

اللامركزية» في سورية المستقبل.. لكن ذلك لم يغر الأحزاب الكردية المنسحبة بالعودة.[94] ولم يكن لدى الجيش السوري الحر أي موقف رسمي من المسألة الكردية , لكن معظم قيادته كانت معادية لحقوق ومطالب الأكراد الوطنية.[95]

دخلت القوات العسكرية التركية شمال سوريا في يناير/ كانون ثاني 2018, بعد هجوم عسكري تركي, بمساعدة من قوات المعارضة السورية المسلحة. وبعد هزيمة مدينة عفرين واحتلالها, وقام مقاتلون معارضون سوريون على صلة بأنقرة بسلب ونهب مساكن المدنيين ومتاجرهم وأسقطوا تمثال كاوه, وهو شخصية مركزية ورمزية في أسطورة كردية حول الاحتفال بالعام الجديد النوروز. وفر أكثر من 130,000 شخص, معظمهم من الأكراد , من ديارهم بعد احتلال منطقة عفرين.[96] اتسم احتلال عفرين, ولا زال, بالعديد من انتهاكات حقوق الإنسان. وفي الأشهر التي تلت الغزو, زادت التوترات بين العرب والأكراد بشكل أكثر إلحاحاً.

تفاقم الوضع في ديسمبر/ كانون أول 2018, عندما أعلنت جماعات المعارضة المسلحة السورية استعدادها للمشاركة في عملية عسكرية بقيادة تركية ضد المناطق التي يسيطر عليها حزب الوحدة الديمقراطي الكردي شرق الفرات, بعد أن ضاعفت أنقرة من تهديداتها الموجهة للقوات الكردية.[97] كما دعم الائتلاف هذا الهجوم, على الرغم من معارضة الأعضاء والمجموعات الكردية بداخله.

عدم وجود بدائل اقتصادية اجتماعية

لقد بات من الواضح الآن أن الوضع الاقتصادي المتدهور, خاصة من عام 2008 إلى عام 2011, كان محفزًا رئيسيًا للانتفاضات السورية, إن لم يكن السبب الأساسي, فقد مرت سوريا بتطبيق متسارع لسياسات الليبرالية الجديدة خلال العقد الذي تلا تولي بشار الأسد السلطة في عام 2000. فكان هناك خصخصة واسعة النطاق وتحرير للاقتصاد ترافق مع تخفيضات في الدعم, وتجميد التوظيف في القطاع العام, وتقليص لدور الدولة في الاستثمار المحلي. وفي عام 2005, تم اعتماد «اقتصاد السوق

[94] كارنيغي, المركز الوطني الكردي.

[95] أعلن رياض الأسعد , قائد الجيش السوري الحر «لن نغادر القامشلي أبداً». وأضاف أن الجيش السوري الحر لن يسمح لأي منطقة بالانفصال عن سوريا: «لن نقبل بانشقاق متر واحد من التربة السورية وسنخوض الحرب من أجله». See "FSA Leader Asaad: We Will Not Allow Kurdish Separatism," Dunya Times, July 27, 2012, http://en.dunyatimes.com/article/FSA-leader-Asaad-We-will-not-allow-Kurdish-separatism.html.

[96] "Syria: Flash Update on Recent Events," UNHCR via ReliefWeb, March 28, 2018, https://reliefweb.int/report/syrian-arab-republic/syria-flash-update-recent-events-28-march-2018.

[97] Sara Dadouch, "Up to 15,000 Syrian Rebels Ready to Back Turkish Operation in Northeast," Reuters, December 13, 2018, https://uk.reuters.com/article/uk-mideast-crisis-syria/up-to-15000-syrian-rebels-ready-to-back-turkish-operation-in-northeast-idUKKBN1OC1IR.

الاجتماعي» كاستراتيجية اقتصادية جديدة في المؤتمر القطري العاشر لحزب البعث السوري. حاولت الحكومة أن تضع القطاع الخاص بدلاً من الدولة موضع القيادة في عملية التنمية الاقتصادية وتوفير فرص العمل.[98] وانسحبت الدولة من المجالات الرئيسية لتوفير الرعاية الاجتماعية. وتم تنفيذ أكثر من ألف قانون وسياسة جديدة في عملية تحرير الاقتصاد تلك في الفترة بين عامي 2000 و 2010.[99]

فاقمت هذه التدابير ببساطة المشاكل الاجتماعية والاقتصادية التي كانت القائمة بالفعل. فقد أدى حكم بشار الأسد السياسي وسياساته الاقتصادية إلى إفقار غير مسبوق في البلاد بينما استمرت اللامساواة في الثروة في الازدياد. على الرغم من نمو إجمالي الناتج المحلي للبلاد بمعدل 4.3 في المائة سنويًا من عام 2000 إلى عام 2010 بالقيمة الحقيقية، فلم يستفد من هذا النمو سوى طبقة صغيرة من النخبة الاقتصادية. تضاعف الناتج المحلي الإجمالي السوري بأكثر من الضعف بين عامي 2005 و 2010 , من 28.8 مليار دولار إلى حوالي 60 مليار دولار.[100] لكن عدم المساواة ارتفعت.[101] وبحلول عام 2007، بلغت نسبة السوريين الذين يعيشون تحت خط الفقر 33 في المائة من السكان، أي ما يقارب سبعة ملايين شخص، في حين كان 30 في المائة من السوريين فوق خط الفقر بمقدار ضئيل.[102] يمثل ذلك تحولا كبيرا عن أواخر التسعينيات، حين كان 14.3 في المائة فقط يعيشون تحت خط الفقر.[103] تركز الفقر بشكل خاص في الريف. ففي عام 2004، كان 62 في المائة من فقراء سوريا يعيشون في المناطق الريفية، مقارنة بـ 38 في المائة في المناطق الحضرية.[104] وبحلول عام 2010، كان للسياسات النيوليبرالية المستمرة وتأثير أربع مواسم متتالية من الجفاف منذ عام 2006 آثاراً مأساوية على صغار المزارعين رعاة الأغنام والمواشي. وانخفض دخل هذه المجموعات، في المناطق المتضررة الواقعة

[98] Samer Abboud, "Locating the 'Social' in the Social Market Economy," in Syria: From Authoritarian Upgrading to Revolution?, ed. Raymond Hinnebusch (Syracuse, NY: Syracuse University Press, 2015), 55.
[99] Rune Friberg Lyme, "Sanctioning Assad's Syria: Mapping the Economic, Socioeconomic and Political Repercussions of the International Sanctions Imposed on Syria since March 2011," Report No. 13, Danish Institute for International Studies, 2012, https://www.diis.dk/files/media/publications/import/extra/rp2012-13_sanctioning_assads_syria_web_1.pdf.
[100] البنك الدولي، خسائر الحرب
[101] The Gini coefficient, a standard measure of inequality, increased from .30 in 1997 to almost .35 in 2009. "Socioeconomic Roots and Impact of the Syrian Crisis," Syrian Center for Policy Research, July 2013, http://www.fao.org/docs/eims/upload/310686/SyrianCentrePolicyResearch%20SocioEconomicRootsAndImpactOfSyrianCrisisJan2013.pdf.
[102] Ali Abdel-Gadir, Khalid Abu-Ismail, and Heba El-Laithy, "Poverty and Inequality in Syria (1997–2007)," Arab Development Challenges Report Background Paper 2011/15, UNDP, 2011, http://www.undp.org/content/dam/rbas/doc/poverty/BG_15_Poverty%20and%20Inequality%20in%20Syria_FeB.pdf.
[103] Linda Matar, The Political Economy of Investment in Syria (London: Palgrave Macmillan, 2015), 109.
[104] Abdel-Gadir, Abu-Ismail, and El-Laithy, "Poverty and Inequality in Syria," 3.

بين نهري دجلة والفرات شمال شرقي البلاد، بنسبة تصل إلى 90 في المئة.[105]

لن يكون من المبالغة القول إن الإصلاحات الاقتصادية في العقد الأول من رئاسة بشار الأسد حفزت الانتفاضات السورية. إلا أن المجلس الوطني السوري الائتلاف الوطني لم يقوما كذلك بتقديم بديل اقتصادي اجتماعي فعال يصب في مصالح الطبقات الشعبية، وبدلاً من ذلك، قاموا بالترويج لسياسات نيوليبرالية لا تختلف كثيرًا عن سياسات النظام. نشرت مجموعة من كبار الخبراء السوريين المرتبطين بالمعارضة، في عام 2013، وثيقة سياسة بعنوان «خطة التحول الديمقراطي في سوريا» , والتي خططت لسوريا ما بعد الأسد. دعت الخطة إلى خصخصة الشركات السورية المملوكة للقطاع العام السوري وتحرير سعر الصرف ورفع الدعم وتقليص حجم القطاع العام من أجل تطوير القطاع الخاص وعودة جميع الأصول المؤممة من قبل حزب البعث (الأراضي، سواء كانت زراعية أم لا، الشركات والمصانع والمنازل والمباني) إلى «أصحابها الأصليين»، ودعم انضمام سوريا إلى مؤسسات متعددة الأطراف مثل منظمة التجارة العالمية.[106] وخلصت إلى أنه «قد يكون أفضل لسوريا أن تترك على نحو تدريجي نموذجها الاقتصادي القائم على قيادة الدولة للاقتصاد لتتحول إلى نموذج اقتصادي يحكمه السوق». «وأيضاً تحتاج سوريا إلى إطلاق العنان لروح المبادرة العظيمة التي تمتع بها صناع وتجار سوريا عبر التاريخ. . . يبقى الهدف الرئيسي هنا هو تقوية الإنتاجية والتنافسية في الاقتصاد السوري، ووضعه على المسار الصحيح الذي يقود فيه القطاع الخاص حركة نمو وخلق فرص العمل الحقيقية ورفع الإنتاجية».[107] لم يكن لهذا النوع من التوصيات تقريبا أي صلة بالسوريين الذين تضرروا من إصلاحات مماثلة في السنوات التي سبقت الانتفاضة مباشرة. في الواقع، كانت هذه التوصيات بمثابة المزيد من الشيء نفسه.

أشاحت هذه الرؤية الاقتصادية ببصرها عن هواجس السوريين العاديين، لكنها لم تحظ بقبول كذلك بين قطاعات كبيرة من موظفي القطاع العام.[108] ما كشفته هذه التوصيات الصماء هو وزن وتأثير البرجوازية السابقة وملاك الأراضي السابقين بين قادة المعارضة السياسية. كان ذلك مثالاً آخر

[105] “Report of the Special Rapporteur on the Right to Food, Olivier De Schutter,” United Nations, January 27, 2011, http://www.srfood.org/images/stories/pdf/officialreports/20110121_a-hrc-16-49-add2_country_mission_syria_en.pdf.

[106] «خطة التحول الديمقراطي في سوريا». المركز السوري للدراسات السياسية والاستراتيجية، وبيت الخبرة السوري، 2013, http://scpss.org/2013/09/wp-content/uploads/خطة-التحول-الديمقراطي-في-سوريا-التقرير-كاملا.pdf

[107] خطة التحول الديمقراطي في سوريا.

[108] ظلت الدولة المسئول الأكبر عن التوظيف في سوريا في عام 2008 , حيث شكلت حوالي 28.5 في المائة من القوى العاملة "Economic Challenges and Reform Options for Syria: A Growth Diagnostics Report (CEM, First Phase)," World Bank, February 11, 2011, http://siteresources.worldbank.org/INTDEBTDEPT/Resources/468980-1218567884549/5289593-1224797529767/5506237-1270144995464/DFSG03SyriaFR.pdf.

على الهوة بين هيئات المعارضة السورية الرسمية والأشخاص الذين يرزحون تحت نير الحرب، وهي هوة لا تملك المعارضة من تلومه عليها سوى نفسها.

الوسائل تحدد الغايات

كانت الرسالة السائدة للحراك خلال مظاهراته وبياناته الأولى رسالة جامعة وديمقراطية وغير مهددة لأغلبية السوريين، بما في ذلك الأقليات. تحدت هذه الرسالة ادعاء النظام بأنه كان الحاجز الوحيد إمام التطرف. إلا أن، هيئات المعارضة في المنفى - المجلس الوطني السوري والائتلاف الوطني - لم يتمكنوا من صياغة بديل موثوق به ولا من العمل كممثلين للأهداف الأولى للحراك ولا تنوعه. كما فشلوا في تقديم إستراتيجية وقيادة سياسية، فيما يخص المكونين المدني والمسلح، لتوحيد وقيادة الجهود للإطاحة بالنظام.

لم تكن المعارضة السياسية التي تشكلت في المنفى قادرة على لعب هذا الدور لأسباب مختلفة تتراوح بين الانقسام الداخلي والفساد المتزايد إلى تدخلات الدول الأجنبية (المملكة العربية السعودية وقطر وتركيا). إن الإخفاقات المتتالية لهيئات المعارضة هذه سمحت للجماعات الجهادية والأصولية الإسلامية بالسيطرة على المشهد العسكري في سوريا، في الوقت الذي قامت فيه بعض قطاعات من هيئات المعارضة بدمج هذه الجماعات والتطبيع معها. دافعت مختلف الحركات الجهادية والأصولية الإسلامية عن رؤية إقصائية للمجتمع لم تكن جاذبة للأقليات الدينية، أو النساء، أو أولئك الذين لديهم فهم مختلف للإسلام.

اعتقدت الشخصيات والمجموعات داخل المجلس الوطني السوري والائتلاف الوطني أن التعاون مع مختلف الجماعات الأصولية الإسلامية كان سيؤتي بثماره - وأن الغايات تبرر الوسائل. على العكس من ذلك، وكما تظهر النتائج الفاشلة لجهود المعارضة السورية، فإن الغايات تحددها الوسائل. فقد أدت استراتيجيات قادة المعارضة إلى عدم وجود كتلة معارضة ديمقراطية منظمة على المستوى الوطني سواء داخل أو خارج البلاد. وبالمثل، لم تكن المعارضة قادرة على تطوير مؤسسات قوية وقائمة على الإدماج كبدائل للنظام.

التنبؤ بمستقبل سوريا هو أمر يقع خارج نطاق هذا الفصل، ولكن عدم اكتمال الانتفاضة يدل على أن النظام سيظل يواجه تحديات على الرغم من قمع المعارضة داخل البلاد. فلقد جاءت عودة النظام بتكلفة عالية، كما أنه لا يزال يواجه العديد من التناقضات الداخلية، بالإضافة إلى اعتماده المتزايد على الدول والجهات الفاعلة الأجنبية. العمليات الثورية هي أحداث طويلة الأجل، تتميز بموجات حراك عالية أو منخفضة المستوى، وفقًا للسياق. بل ويمكن أن تمر بفترات من الهزيمة، كمثل

التـي تمـر بهـا الانتفاضـة السـورية الآن. مـن المرجـح أن يكـون لآثار الحـرب وتدميرهـا تداعيات لسنوات قادمـة. لـم تقـدم أي مجموعـة معارضة منظمـة ذات حجـم وشـعبية كبيريـن مشـروعًا ديمقراطيًـا جامعـاً يمكـن أن يسـتقطب قطاعـات كبيـرة مـن المجتمـع. كمـا خلفـت إخفاقـات هيئـات المعارضـة فـي المنفـى وجماعـات المعارضـة المسـلحة إرثـاً مـن الإحبـاط والمـرارة لـدى الأشـخاص الذيـن شـاركوا فـي الانتفاضـة أو تعاطفـوا معهـا.

ومـع ذلـك، هنـاك تطـور مهـم فـي خضـم هـذا الوضـع المـزري والقاتـم، تطـور مـن شـأنه أن يلعـب دوراً فـي تشـكيل الأحـداث المسـتقبلية. وهـو توثيـق الانتفاضـة، والـذي كان ربمـا أكثـر دقـة وتفصيـلاً مـن أي توثيـق غيـره فـي التاريـخ. فهنـاك تسـجيلات وشـهادات وتوثيقـات هامـة للحـراك، والفاعليـن المشـاركين، وأسـاليب العمـل. شـهدت سـوريا، فـي سـبعينيات القـرن الماضـي، مقاومـة شـعبية وديمقراطيـة قويـة، شـملت إضرابـات ومظاهـرات مهمـة فـي جميع أنحـاء البـلاد وحظـت بشـعبية هائلـة. لكـن هـذه الذاكـرة ضُيِّعـت تمامًـا، بـل إن قليليـن مـن الجيـل الجديـد مـن المتظاهريـن فـي عـام 2011 كانـوا يعلمـون عـن هـذه الحركـة. إلا أن نفـس الشـيء لـن يقـال عـن عـام 2011 فـي المـرة القادمـة. سـوف تبقـى الذاكـرة، ولـن تكـون دروس الانتفاضـة موجـودة فقـط للمراقبـة، بـل سـتظل أفـكارًا حيـة يمكـن الاسـتفادة منهـا لبنـاء المقاومـة المسـتقبلية. التجـارب السياسـية التـي تراكمـت منـذ بدايـة الانتفاضـة لـن تمحـى.